بين السياسة والثقافة

كان دائما حق الزعيم السياسي لجماعة او أمة ، او القائد المتسم بهذه الزعامة ، ان يعتبر طليعة جماعته او امته ، وأن يبز من عداه في الظفر بالتأثير في مجرى الحياة في بلاده وبخلود الذكر بعد مماته . ولم يكن هذا الحظ كله في الغالب نصيب مقدمين آخرين في الامة من رجال الحرب او العلم او الفن او سواهم ، بل كان سبيل هذا المجد هو الارتكاز الى قيادة الشعب ثم الظفر بثقته والعمل على خدمته وتدبير شؤونه وتطوير أساليب عيشه .

ومع ان هذا قد يبدو تحيزا للسياسة والساسة ، فانه الى الآن حق بسبب ما تتطلب السياسة الصحيحة من الزعيم الناجح من ذكاء وتلبية ، واتساع وشمول ، والمام باكثر من جانب من جوانب المعرفة والخبرة .

غير ان الذي يبدو تحيزا في هذا الباب ما كانت تتطلبه التقاليد في الغالب من الاعتماد على مصادر محدودة في انتقاء رجال السياسة . فالعصور الخالية كانت تعتمد الملقين المخادعين من رجال الدهاء والذكاء ، والعصور الحديثة تعتمد في الاعم الاغلب اساليب خاصة لتخريج السياسيين ـ لكل امة اسلوب . فالبريطان كانوا ، وما زالوا الى حد غير قليل ، ينظرون الى اكسفورد وكامبردج وعدد من العائلات ، والاميركان ينظرون الى حلقات من رجال المال والاعمال ، والروس يميلون الى رجال التكنيك المتصفين بالحزبية .

ولكن الملاحظ يرى مع ذلك ان مصادر التخرج للساسة في العصور الحديثة قد اخذت تختلف وتعتدل ، وان ظلت السياسة نفسها الى الآن ذات القدح المعلى في صفات القيادة او القوة او الخلود . ويعود ذلك في اعتقادي الى ثروة العلم الحديث لانه اكثر بواعث الديموقراطية في العالم . يضاف الى ذلك ان الاصرار على رفع مستوى المعيشة للناس قد اخذ يحمل المسؤول الاعلى او الزعيم على اختيار القادة من العارفين بتوليد اسباب المعيشة ورفع مستواها . ولهذا بدات الحكومات المعاصرة تولي الفنيين والاختصاصيين مراكز لم تكن توليها لهم من قبل . وهذا بدوره اخذ يحفز الجامعات الى التخصص في العلوم الحديثة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع ذلك فان فئة من المتعلمين ظلت الى عهدنا الراهن مقصاة عن مجال السياسة والزعامة الاجتماعية ، وهي فئة المثقفين والاساتذة . ولنضف الى ذلك « طبقة الفهماء » **Entelligentia** التي عرفها لنا بالعربية مؤخرا الاستاذ حسن الكرمي . وكان الظن ان هذه الطبقة خيالية شاردة لا تصلح للقيادة العملية التي تقتضيها السياسة عامة والسياسة الحديثة خاصة . ومن هنا كان ايثار الاميركان لرجال المال والاعمال الذين اثبتوا قدرتهم على تأثيل الثروة واستنباط العيش .

ومن المشهور عن طبقة المثقفين في مراحل حياتهم المبكرة انهم اقدر على تكييف انفسهم لاعمال الحياة المختلفة من غيرهم من فئات المتعلمين او الاخصائيين . وكثيرا ما تجد بداية زعيم او وزير او قائد في حياة التعليم ثم يقفز منها الى مراكز القيادة السياسية فجاة ، او ينتقل اليها تدريجا . ومع ان تجربة بعض اساتذة الجامعات عندنا لم تكن جد مجدية ، الا ان الرئيس كنيدي قد اثبت نجاح عدد من رجال هذه الطبقة الذين انتقلوا من كراسي الجامعة الى كراسي الوزارة دون سابق مراس بالعمل السياسي الواقعي . والحقيقة انك اذا رجعت الى التعريف القديم للاديب (والمثقف اليوم اوسع منه نظرا) وجدت لذلك التعريف شبها بما تريد اليوم من الزعيم السياسي ـ معرفة عامة باطراف العلم ومعرفة خاصة باحد ضروبه .

تلك هي صلات ما بين السياسة والثقافة بمجمل ماهيتها ومقتضياتها . ولكن من شروط ارتباط هذه الصلات واحكامها ، ان تتسق معها المزايا العقلية والخلقية لمن يتصدر للزعامة ، اذ ليس ينشىء الزعيم علم وثقافة بقدر ما ينشئه عقل وخلق .

محمد اديب العامري **عمان**

طبقة الفهماء

بقلم حسس الكرمي
من العروة الوثقى في لندن

للكاتب الفرنسي المعروف (ريمون ارون) كتاب بعنوان (افيون المفكرين) ، بحث فيه ، من جملة ما بحث ، عن ضروب المفكرين في الماضي وفي الحاضر . فبعد ان قسم العاملين في الوقت الحاضر في الميادين الاجتماعية وغيرها المختلفة الى قسمين ، وهما العاملون باليد والعاملون بغير اليد ، قسم هؤلاء العاملين بغير اليد الى (١) كتاب يقومون بالاعمال الكتابية الادارية و (٢) فنانين أو ادباء و (٣) خبراء أمثال القضاة والاطباء والمهندسين والعلماء وغيرهم. وهذا التقسيم موحى به من الظروف التي نشأت بنشوء الرأسمالية والنظام الصناعي الحديث . فقد دعت هذه الظروف في البلاد الغربية الى زيادة التعليم ونشر المعارف، فكان من ذلك المعلمون والاساتذة والمفكرون ، ودعت أيضا الى استخدام الاخصائيين في ميادين الصناعة والعلوم المختلفة . وكما ان الحاجة ازدادت الى المتعلمين لتدعيم السلطات الحاكمة عن طريق الكتابة والدعاية ، كذلك الحاجة ازدادت الى الاخصائيين لتقوية الصناعة وزيادة راس المال في ايدي أصحابه . ولذلك كان الطلب كبيرا على رجال الفكر وعلى الادباء للعمل في المدارس والجامعات أولا ، وللعمل في الادارات المختلفة من حكومية وغير حكومية ثانيا . فالنظام الصناعي الحديث في الغرب استوعب هؤلاء المفكرين ، وأدمجهم في المجتمع وحملهم مسؤولية نحو هذا المجتمع ، فعكفوا على اعمالهم هذه وانصرفوا بذلك عن مسلك المفكرين والفهماء في الماضي حينما كانت مهمتهم الهدم قبل البناء والانشاء . والذي حدث ان المجتمع الجديد بما هو عليه من تعدد النواحي وزيادة ابواب العيش قد نظم المفكرين في سلك اعماله وأدمجهم في تركيبه وكيانه ، فلم يعودوا بعيدين عنه يحاربونه وهم لا يمتون اليه بصلة ، أو يحاربونه لانهم منبوذون من كل طبقة فيه ، كما كان الحال قبيل الثورة الفرنسية وقبل الثورة الروسية . واذا نظرنا الى الحركات الادبية والفلسفية قبيل الثورة الفرنسية وجدنا ان الفهماء في ذلك الوقت ، أمثال ديدرو والموسوعيين والفلاسفة ، كانوا يؤلفون أظهر مثال للفهماء .

ولكن هذا الاندماج في الزمن الاخير قضى على انعزال الفهماء وادخلهم في البوتقة الاجتماعية ، فأصبح من الصعب معرفة من هم هؤلاء الفهماء في المجتمع الغربي في الوقت الحاضر ، بل اصبح من الصعب ان يطلق اسم الفهماء على اية طبقة او جماعة من المفكرين . وقد اعرب عن هذه الصعوبة الكاتب الفرنسي الذي ذكرته ، ولكنه مع ذلك ، قسّم المفكرين (ولم يسمهم بالفهماء) الى ثلاث درجات : (١) الدرجة الاولى (وهي العليا) وتحتوي على الكتاب الادباء والباحثين والعلماء والفنانين المبدعين ، (٢) والدرجة الثانية (وهي الوسطى) وتحتوي على المعلمين والنقاد ، (٣) والدرجة الثالثة (وهي السفلى) وتحتوي على الصحفيين وكتاب الجرائد . واخرج هذا الكاتب من هذا التقسيم الاطباء والمهندسين والمحامين لان هم هؤلاء هو الناحية العملية وليس الناحية الثقافية .

وحينما اراد ان يعطي تعريفا للفهماء لم يجد تعريفا واحدا متفقا عليه ، ولذلك فانه أعطى تعريفين : (١) تعريفا شاملا ، بمعنى ان كلمة (الفهماء) تشمل جميع العاملين بغير اليد . ولكن الكاتب في مكتب من المكاتب او ادارة من الادارات لا يمكن ان يقال له (مفكر) ناهيك عن ان يقال له (فهيم) ، ولو كان يحمل شهادة جامعية ، فخريج الجامعة هذا ما هو الا عامل اداته الآلة الكاتبة . وهذا بالطبع بالنسبة الى البلاد الغربية فقط ، لان خريج الجامعة أو الاقل منه علما ، في البلاد المتأخرة ، يعتبر من المفكرين او من الفهماء ، ونحن في البلاد العربية أشد احساسا بذلك في بعض الاحيان بسبب تجافي المتعلمين وخريجي الجامعات عن عامة الشعب وترفعهم عنهم . و (٢) تعريفا ضيقا ، بمعنى ان كلمة (الفهماء) تشمل الاخصائيين والادباء .

ولا يخفى ان هذا التقسيم يجب ، في الحقيقة ، ان لا ينطبق على (الفهماء) بالمعنى الذي نعرفه من هذه المقالات بل يجب ان ينطبق على (المفكرين) ، وهذا على ما اعتقد ما عناه ريمون آرون، ولو انه أستعمل كلمة intelligentsia في هذا السياق ، كما استعملها معظم الكتاب الغربيين بمعنى intellectuals ، ولعل عذرهم في ذلك ان الفهماء بالمعنى الاصلي لم يعد لهم وجود في الزمن الاخير بعد ان اندمجوا في مجتمعهم وتحملوا مسئولية بنائه لا تهديمه ، وتفرقوا في شعاب المعيشة المختلفة وفي ديانها واصبحوا كغيرهم من الناس ليس لهم ما يميزهم تمييزا شديدا عن غيرهم ، بحكم ما جرى من تسوية وتوحيد بين الطبقات وازالة الفروق من بينها ، وبحكم انصراف الناس عموما في الغرب عن المذاهب المثالية المتطرفة ، حتى لا يكاد المرء يجد كبير فرق أو خلاف بين جماعة اليمين وجماعة اليسار ، وصار المرء يسمع في الحزب اليميني عن وجود جماعة فيه تنحو نحو اليسار ويسمع في الحزب اليساري عن وجود جماعة فيه تنحو نحو اليمين ، ويسمع فوق ذلك عن وجود وسط بين الحزبين فيه يمين ويسار. وكل ذلك ولا شك دليل على ضعف التمسك بالمذاهب التطرفية، بعد ان تدامجت الطبقات في ميادين العمل وتقاربت من حيث المستوى المعيشي وتداخلت في مسئولياتها المشتركة . وقد علل البعض فتور حدة العقيدة بوجود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرخاء وارتفاع مستوى المعيشة ، وعلله البعض الاخر بان النظام الاجتماعي استوعب المفكرين والفهماء ولم يتركهم مبعدين منبوذين كما كانوا من قبل ، وحملهم مسئولية مشتركة مع غيرهم ، فأزال ذلك من نفوسهم حسن النقمة والشعور بالحيف .

وكثير من الكتاب في الغرب يرحبون باندماج المفكرين في المجتمع وتضامنهم معه . ولكن كثيرين آخرين لا يرحبون بذلك ، لان هذا الاندماج وهذا القبول بمعيشة الرخاء قد نزع عن المفكرين والفهماء صفة البطولة والمدافعة عن القيم والمبادىء السامية ، مما يؤدي الى انحطاط الروح المعنوية بين هؤلاء . ويرى هؤلاء ، كما يرى توكفيل الفرنسي ان المجتمع يجد نفسه في معيشة مادية تستنزف قوة النفس فيه . وهذا معناه ان دورات الصراع الاجتماعي قد انتهت الان ولم يعد للفلاسفة ، ولا للمصلحين ولا للابطال الانسانيين ولا لاصحاب الاحلام والتمنيات اي مجال . ومعناه ايضا ان التوتر بين المذاهب المثالية وواقع الحال قد خف او زال ، وبزواله يزول الدافع الى الحركات الاجتماعية ، المتحفزة والدعوات الاصلاحية الجامحة . وقد يصبح المجتمع الغربي اشبه ما يكون بمجتمع بلاد اكلة الحندقوق (اللوتس) حيث لا يخبر الناس هناك الا وقتا واحدا وهو وقت العصر . ويرى كارل مانهايم في كتابه (المذهب المثالي والطوبوية) ان من اهم المشكلات في الوقت الحاضر اعادة التوتر الى المجتمع الغربي لان هذا التوتر هو من العوامل الجوهرية في كل تمدن . وحذر مانهايم من الخطر البادي في تقهقر روح المذهبية المثالية والفكرة الطوبوية بين صفوف القائمين على الحكم في البلاد الغربية . وتساءل عما اذا كان فقدان هذا التوتر او نقصانه لا يؤدي فعلا الى تناقص النشاط السياسي والى خمود الحماسة العلمية ، بل الى عدم الرغبة في الحياة نفسها .

ويوجد نوع اخر من الكتاب في الغرب الذين لا يوافقون كارل مانهايم على تشاؤمه هذا ، ويرون ان هذا الخمود او الفتور في حركة الفهماء او في نشاط المفكرين الثوريين انما سببه عدم وجود السامعين الذين يجدون صدى في نفوسهم لما يقوله هؤلاء الدعاة ، ويرون ان هذا الدور انما هو دور انتقالي سيعقبه دور انتفاضي اخر . ولا يعرف هؤلاء الكتاب هذا الدور الانتفاضي كيف يكون .

غير ان الذي لا خلاف فيه ان مجال الفهماء في المجتمع الغربي الحاضر قد ضاق ، واصبح الواحد منهم لا يكاد يجد التربة الصالحة لافكاره الثورية او الانقلابية . وفي رأيي المتواضع ان السبب في ذلك هو ان المجتمع قد استوعب الفهماء وادمجهم فيه ، فخفت معارضتهم من جهة وظهرت الخلافات بينهم من جهة اخرى . ولي على ذلك مثل بسيط . فلو كنت انت تملك وسائل العيش في مجتمع ، فلا بد ان تكون قبلة السخط والنقمة . ولنفرض ان عدد الناقمين عليك عشرون رجلا ، وباستطاعتك ان ترضيهم باعطائهم اعمالا يعيشون منها . ولكنك تخشى على مالك ، فاذا اعطيت من هذه الاعمال عشرة فقط ، فانك اولا ترفع النقمة عنك وثانيا تخلق التنافس والتزاحم بين العشرين رجلا فيما بينهم . فانت امين من ناحيتين . فقد ارضيت الناقمين عموما بانك برهنت عمليا على حسن نيتك ، وجعلت من الراضين جماعة يدافعون عنك ويتعاونون معك . هذا مثال بسيط ، ولكنه شيء جرى فعلا في التاريخ . فان الحركات التحررية في بريطانيا كانت اولا ضد نظام الاقطاع ثم صارت ضد الملك بعد نشوء الطبقة المتوسطة ثم صارت ضد الطبقة المتوسطة ، ولكنها كانت تكون من المحدودين underprivileged ضد المجدودين privileged . فالمحدودون يريدون ان يكون لهم نصيب في الرخاء الذي كان يتنعم به المجدودون وفي السلطة والحكومة . وهذا هو نفس الحال الذي كان موجودا في فرنسا قبل الثورة الفرنسية . ولكن الفرق بين بريطانيا وفرنسا من هذه الناحية ان النبلاء البريطانيين اخذوا يستوعبون بالتدريج عددا من المحدودين او من طبقة العوام وادخلوهم معهم في الحكم ، في حين ان طبقة المجدودين او النبلاء في فرنسا بقيت طبقة مقصورة على اناس دون غيرهم ولم تسمح بادخال احد من العوام بين صفوفها . وكان من نتيجة ذلك ان العوام في بريطانيا قبلوا ما اعطاهم اياه النبلاء واشتركوا معهم في الحكم ودخلوا في اطار الدستور البريطاني تحت زعامة النبلاء في الحقيقة ، وبذلك خفت حدة معارضتهم ومقاومتهم ، واستمر نظام الحكم قائما على اساسه القديم مع التعديل تدريجا من زمن الى زمن . اما في فرنسا فقد اشتد التوتر بين الجانبين ، ولم يقبل النبلاء الفرنسيون اشراك العوام معهم ، فأدى ذلك الى الثورة المعروفة والقضاء على الارستقراطية الفرنسية التي كانت هي قوام الدولة. فالارستقراطية في بريطانيا كانت احكم وأفهم لحقيقة الاوضاع ، فأبقت، نفسها في الحكم واشركت معها فيه العمال والعوام . وهذا الادماج حفظ الدولة لانه ابقى الارستقراطية قائمة وطبق نظام الديمقراطية تدريجا . وبقاء الدولة مرهون بوجود ارستقراطية ثابتة الاركان ، كالارستقراطية التاريخية في بريطانيا . وارستقراطية المال في الولايات المتحدة ، والارستقراطية المذهبية في روسيا في الوقت الحاضر ، والارستقراطية الدينية في زمن الخلفاء الراشدين والدولة العباسية . والارستقراطية الزمنية في زمن قريش والدولة الاموية . وهذا كله اقرب ما يكون الى فكرة (العصبية) التي تكلم عنها ابن خلدون. ومن المستغرب ان يقال ان الديمقراطية الغربية ، التي نمت ونشأت في بريطانيا ، هي وليدة الارستقراطية ومنبعثة عنها .

لندن حسن الكرمي

احبك

●

احبك فوق الذي يحسبون   هوى لا كما يزعم العاشقون
احار بما بي وحسبي اني   عرفت من الحب ما يجهلون
احبك وليشهد العالمون   احبك ولينكر المنكرون
الا انك الفرد في عالم   تباركت وليخسأ المشركون
دعوتك حين تجنى الزمان   فلبيت تقتص لي من خؤون
ولذت ببابك ارجو حمى   لضعفي فكنت حماي المصون

* * *

تعاليت سبحت يا قدرة   تقاصر عن وصفها الواصفون
أحسك في وفي ناظري   تباركت يا ألقا في العيون
ونورا يضيء دجى وحشتي   فأصبح في جنة من فتون
تباركت ربي أعني على   أناس بغيهم يعمهون
أراهم على الشر قد أقسموا   اما من سبيل به يهتدون ؟

* * *

اعوذ بك اليوم من عالم   مريض به عارضات الجنون
اراه يعب سراب المنى   على ظمأ مورد للمنون
تكالب تغريه أطماعه   الم يكفه المال ثم البنون ؟
ألا خسئت طينة خلقها   أثام ولؤم وشر وهون
تباركت ربي جبلت الورى   على الاثم .. انهم آثمون
على اللؤم .. اذ روعوا الآمنين   على الشر انهم مجرمون
على الذل للجشع الاشعبي   عبيدا ترى العز في ان تهون

* * *

تباركت يا أرحم الراحمين   ايا من يلوذ به اللائذون
اجرني من الخلق خذني اليك   الى كنف فيه ما يشتهون
الى كنف آمن وادع   بأجوائه يخلد الآمنون ..

بغداد   عاتكة الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة هرة

بقلم محمد المجذوب

كان سعيد – كما سمته امه – او سعدو – كما يسميه الناس – شابا في الخامسة والعشرين ، على جانب من القوة الجسدية غير يسير ، مديد القامة ، عريض الالواح ، مدمج الاعضاء ، وهو شديد الاعتزاز بهذه الصفات كثيرا ما يتخذ منها مظهرا لتحدي الضعفاء من جيرانه ورفاقه ، وكثيرا ما يتوسل بها الى زيادة حصته من اي عمل مشترك قد يقوم به مع بعضهم ... يضم الى ذلك كله لسانا كالمسدس المختل لا يكاد يؤمن انطلاقه على غير هدى ، فهو كتلة من السفه والسباب والتجديف ، لا تكاد تسمع منه اينما سار وحيثما تكلم الا ذلك البذاء يصبه على جيرانه ، ورفاقه..

ولعل زوجته اوفر الجميع حظا منه ، اذ عودها الا يناديها بغير لفظة (وليك) والا يخاطبها اذا غضب الا بالالفاظ التي ورثها من ايام الازقة ... نبذا بالفجور ، ومسبة للدين ، وشتما للخالق ... ويكاد شتم الخالق ان يكون لازمته المفضلة ، فهو اذا فاتته الغنيمة التي يريد شتم خالقها ، واذا عصاه عود الثقاب قذفه بمثل ذلك ، وقد تعثر قدمه بطرف الفراش فيسب اله كل من وضع فيه قطبة ... وقد عود اطفاله الثلاثة اسوا هذه الالفاظ حتى باتوا يتبادلونها غاضبين او راضين ، مستيقظين او نائمين ...

ومن هنا كان سعدو بغيضا الى قلوب كل عارفيه،حتى لا تكاد تجد له محبا ، ولا تكاد تسمع انسانا يذكره بخير ... وقد نفر منه كل اقرانه فاصبح فريدا لا يجد شريكا يتعاون واياه في اي من الاعمال ...

وكانت له حرف كثيرة ، لا يستقر منها على واحدة ، فحينا تراه حمالا يعمل في مواقف السيارات ، وآنا تراه يدفع عربة نقل ، ومرة تجده نوتيا في احدى السفن ، او معاونا في احدى الشاحنات ... ولكن حرفته المفضلة هي قتل الاسماك بالمتفجرات ...

ويبدو انه وجد في هذا العمل جوه الطبيعي ، فيوشك ان لا يفارق البحر الا لبيع حصيلته من السمك او ليقضي ليلة في البيت ... وقد تمر عليه الايام المتلاحقات لا يطالع خلالها وجها لبنيه ، ولا يخطر في باله ان يسأل عن احد منهم ... فهو مشغول عن كل ذلك بهذه المتعة الشافية التي يمارسها في مراقبة الاسماك والقضاء عليها كلما وجد لذلك سبيلا ... وكثيرا ما اتصلت احلام نومه بعمل يقظته ، فتتراءى له جموع الاسماك سابحة حوله ، تستفز شراسته الى القتل ، فلا تستقر اعصابه حتى يسمع الغامه تتفجر في دوي متتابع ، تطفو على اثره ضحاياه افواجا وراء افواج ...

ولقد عمق هذا المراس في طبيعته خلائق القسوة فجعله اشد استهتارا بالمسئولية ، يرفع قبضته باصابع المتفجرات مهددا متوعدا ، ولا يتورع عن فعل ذلك حتى مع اطفاله انفسهم، الذين الفوا منظر هذه المتفجرات مطروحة على طبق تحت صندوق الثياب ، او في سلة الخبز ، ففقدت بذلك رهبتها في اعينهم ، واصبحت لهم اللعبة المفضلة يلوح بها كل نحو الآخر ، او يركضون بها وراء اترابهم !...

* * *

وهبّ سعدو من فراشه مسرعا يقذف الشتائم ، اذ وجد نفسه قد تأخر عن موعده ... ورفس زوجته فنهضت لفورها تعد له زاده من الطعام . ولما سحبت القدر جمدت مبهوتة اذ لم تجد فيها اللحم الذي حفظته له !.. وجعلت تراجع نفسها لعلها اخطأت المكان ، ثم لم تستطع الا ان تسأله : على علمي اني تركت لك الفك الاسفل في هذا القدر ... وما ارى منه الآن غير العظم ... لعلك اكلته ؟..

ولم يجد اقرب من وسادة القش فقذف بها راسها وهو يصيح : انا اكلتها يا ..! وتدحرجت الكلمات القذرة عن لسانه في سرعة متلاحقة ... واقسم بالطلاق لينسفن بهذا الديناميت البطن الذي احتوى هذا اللحم ...!

واخذ يركل اطفاله فيهبون مذعورين واحدا بعد الآخر ، وعلى لسان كل منهم تجديفة من الضرب الثقيل !..

واخذ سعدو يحقق مع كل منهم : أ انت ... أ انت ...؟ أ انت ..!

وكان الجواب بالطبع هو النفي...

ولم يكن بحاجة الى توكيد اكثر ، فهو قد رآهم غارقين في سباتهم حين مجيئه ، ولا مجال للظن بنهوضهم للاكل اثناء الليل ، واذن فلم يبق هناك موضع التهمة سوى زوجته ، وهذه الهرة التي تغرغر فوق هذا المفرش المدود غرب الباب ...

وامسك بالهرة يجس بطنها ويقلب نظره على مدخل فمها ... وكاد يجن من الغضب عندما راى نثارة من اللحم لا تزال معلقة منها فوق الانف شاهدة بالجريمة !...

واستل من جيبه بعض الخيوط ، وراح يلفها على شيء حول بطنها .. وقد وجدت الهرة في ذلك مداعبة لاذة ، فجعلت تمسح وجهها بصدره، وهي ترسل مواء حنونا كأنه انشودة الشكر ...

ثم لم يلبث الا يسيرا حتى خرج بالهرة الى ساحة الدار ، وهناك اشعل دخينة ، ثم ادناها من بعض اربطتها ، وبكل قوته قذف بها فوق جدار الدار



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اتجاه الساحة المقابلة ...

وما هي الا ثوان معدودات حتى كان الدوي يصم الآذان ... ثم يتراكض الجيران ليروا هرة بيت سعدو وقد نثرت اجزاؤها في كل اتجاه ...

* * *

ولاول مرة يوجس سعدو خيفة من جيرانه ، اذ لم يطيقوا كبت مشاعرهم تجاه عدوانه الشنيع على تلك الهرة ، فاخذوا يتصايحون ، وراح كل منهم يثير نخوة الآخر للانتقام من هذا الارعن الذي ما زال ينغص حياتهم ..

ولم يشأ سعدو ان ينتظر اكثر .. فملأ جيبه اليمنى بالمتفجرات المعبأة ، وجعل اطراف فتائلها بارزة الى الخارج ، ثم اطبق راحته اليمنى على واحدة منها بشكل ظاهر ، وامسك بالثانية دخينة ، ثم خرج الى الساحة في هدوء مثير ، كأن ليس ثمة من شيء يعنيه ، فاذا الصمت يسود الساحة ، وينسحب القريبون من بيوتهم الى داخلها في سكون ، ويأخذ هو طريقه الذي اعتاد ان يسلكه كل صباح نحو البحر !...

وعلى غير عادة سعدو كان هذه المرة يتجه نحو الشاطىء وفي راسه افكار غير التي الفها في مثل هذه اللحظات .. افكار لا تتصل بالبحر ولا بالسمك ولا بالزورق ... هي ابعد من ذلك واغرب ... الا انه لا يستطيع لها تجسيما ولا تحديدا ولعل من التجوز ان نسميها افكارا ، فما اعتاد الرجل ان يفكر ، بل الف ان يأخذ الاشياء على علاتها ، يتناولها بالشعور العابر ، والتدبير المرتجل ، فلا يجهد نفسه بمحاولة التمييز بين شيئين ... ولعها اقرب الى ان تكون تصورات تنتشر في اعماقه دون وعي ولا تفكير ولا انتظام ... تصورات يلمح من خلالها هرة ... وفضاء... وناسا ... وتخيل اليه انه يرى نفسه في هذا الطريق نفسه .. يسير كالشبح لا يعي ما حوله ... ويغالبه شعور مبهم بشيء من الاشمئزاز يكاد يدفعه الى التقيوء ... ثم يحدث شيء ليس في وسعه ان يعرف ما هو ... ولكنه موجع ومؤلم ...

وهنا احس بضيق بثقل صدره ، فهز رأسه بقوة ، كأنه يريد التخلص من تلك الاوهام المزعجة، ورفع دخينة اخرى اشعلها من العقب المتخلف بين اصابعه ، وتذكر كتلة التفجير التي في يده فردها الى جيبه ثم مضى يعب الدخان في عمق وهياج ...

وعندما وصل الى المفرق الذي اعتاد اجتيازه انفتل نحوه بغير وعي ، وكانت هناك اغصان شائكة يظهر ان اصحاب الارض قد سدوا بها مدخل الممر مساء اليوم الفائت ، فوقف ينحيها في عصبية ، ودفعها عن ثيابه التي راحت تنشب بها في قوة ، ولكن دون ان يحرك شفتيه بحرف ... وعندما توقف لينزع آخر شوكة من فوهة جيبه اليمنى فوجىء بمثل الانهيار تحت قدميه ودوي خطف سمعه .. فقطعه عن ادراك ما حوله !

وكانت سيارة تعبر الجسر القريب في اتجاه المدينة ، فوقفت لنجدة الرجل الذي رآه ركابها يهوى الى الحضيض عقيب الانفجارات الاربع!..

ولقد هال هؤلاء ان يبصروا الرجل وقد طارت عيناه ، وبترت يمينه ومزقت فخذه ، وبقرت بطنه .. ولكن سرهم انه لا يزال في صدره بقية من النفس تبعث الامل ببقائه في عداد الاحياء . لذلك اسرعوا بنقله الى اقرب مركز للاسعاف .

ولقد صدق الامل ، وبعد علاج طويل ، وعدد من الجراحات ، نجا سعدو من الموت ... لكي يحمل الى الناس صورة مجسمة من العدالة الالهية التي لا تغفل ... ولا تخطىء ... ولا تنسى حتى الهرة الحقيرة!..

وحتى اليوم لا يزال جيران سعدو يذكرون تلك الهرة ، كلما راوا الرجل المشوه المسكين يعبر ساحتهم متكئا على كتف زوجته ... ولكن ما اقل الناس الذين يتفكرون ويعتبرون !!!

اللاذقية — محمد المجذوب

وجهان

مهما تزد ضحكا ان زدتني المـا — افسح بلوءمك الآمي لابتسما

وجهان ما ضحكا الا كزرعك في — يدي بخلا وانباتي لك الكرما

فم أيعلم ماذا في انفتاحته ؟ — لانسد خوفا على الاقذار لو علما

يا دمية افسد الخلاق خلقتها — فحين صار الى اتمامها ندما

بل ما القباحة من عادات ريشته — سوى فحيحك بالاقباح ما اتهما

لا ريب عينك من عشق الدجى انطفأت — وصار اطفاؤها الدنيا لها حلما

فلا ترج غيات الشمس عن بصري — فلن تغيب شموس تعبد الشمما

أغرك الترب تذريه على افقي ؟ — والترب مهما علا هل يبلغ النجما

أكلما عقرب الوادي اعتلت حجرا — ظنت صغير الحصى من تحتها القمما ؟

ترى سلت نعلة راحت تقبلها — وكل ما تشتهي أن تلسع القدما ؟

ولم ادسها وما سم ليرهبني — سل في جفوني اسى يرثي لمن اثما

اردت نفسي كوسع الكون احملها — فهل تنوء بذل الناس ما ضخما ؟

ارضى باحراقها لو شاء عميهم — ان كانت النار تمحو تلكم الظلما

احبهم لو على اخشابهم صلبت — هديا لمن ضاع او حقا لمن ظلما

كذا كؤوسي دوالي الحب ترضعها — لتسكب الري في من كوبه انحطما

حتى وان لم يعد عندي سوى المي — حكت الوجود به كي اكسو العدما

باسمة باطولي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموشحات الاندلسية

بقلم موسى سليمان

* * *

يا اهل اندلس لله دركم   ماء وظل وانهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم   ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا   فليس تدخل بعد الجنة النار !

بمثل هذا الشعر الرقيق العذب يخاطب ابن خفاجة « اديب الاندلس وشاعرها » اهل الاندلس واصفا بلادهم الجميلة وصفا رائعا ، مشبها اياها ، بمياهها العذبة ، واشجارها الباسقة ، وازهارها ، ورياضها ورياحينها بالجنة ...!

وهذه الجنة هي موطن الموشحات ، وهي البيئة التي نمت فيها الموشحات وترعرعت ، وارتوت من مائها السلسبيل ، وتغذت من طبيعتها الغناء .

والمقول ان اول من ابتكر هذا الفن الشعري ، شعر الموشحات ، هو مقدّم بن معافى القبري من ادباء القرن العاشر ، وكان من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني .

ومن اوائل الذين كتبوا الموشحات واخذوا بهذا الفن الجديد ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، ويوسف بن هارون الرمادي .

ولقد اقبل الاندلسيون على هذا اللون الجديد من الشعر اقبالا عظيما لانه يخالف في نظمه وترتيبه ، الطرق القديمة المالوفة في قرض الشعر ونظام القصيدة .

وفي ذلك يقول ابن خلدون :

« ... واما اهل الاندلس ، فلما كثر الشعر في قطرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ، ينظمونه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا ، يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ، متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة . واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد . وتجاروا في ذلك الى الغاية . واستظرفه الناس جملة : الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه » .

حقيقة الموشحات : ويصعب الجزم في حقيقة الموشحات وحقيقة مصدرها وهل هي فن اندلسي مبتكر ، ام هي تقليد شعر غنائي غريب عن الاندلس وعن العرب ؟ ولقد كثر الكلام في هذا الموضوع وتعددت الاراء وتشعبت . والذي عليه اكثر الباحثين أن الموشحات ما هي الا تقليد لشعر غنائي عجمي . وهذه هي نظرية المستشرقين ريبيرا وبيدال . وليس يسمح لنا المقام في مثل هذا المقال بعرض هذه النظرية ومقارنتها بسائر النظريات واشهرها: ان مخترعي الموشحات قد تأثروا بالاغاني الشعبية الاسبانية والبروفانسية المتأثرة بالتراتيل الكنسية . أو ان الموشحات العربية وشعر الطروبيين الذي عرف في بروفانس في جنوب فرنسا في القرن الحادي عشر هما من اصل واحد .

اشهر الوشاحين : ظهر فن الموشحات واشتد وقوي في الاندلس ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين . واشتهر فيه شعراء كثيرون نذكر اشهرهم مع بعض نموذجات من موشحاتهم . فهم: عبادة بن ماء السماء . وقد اكتملت على يده صورة الموشح . يقول فيه ابن بسام صاحب الذخيرة : « ... فكأنها (اي الموشحات) لم تسمع بالاندلس الا منه ، ولا اخذت الا عنه . »

ومنهم ابن اللبانة . وقد اشتهر في عصر ملوك الطوائف وهو من شعراء بلاط المعتمد بن عباد .

ومنهم : الاعمى التطيلي وهو من عصر المرابطين ينسب الى بلدة تطيلة بالقرب من سرقسطة .

ومنهم : ابن بقي القرطبي وقيل ان له اكثر من ثلاثة الاف موشحة .

ومنهم : احمد الانصاري الاشبيلي المعروف بالابيض وهو من كبار الوشاحين .

ومنهم : ابن باجة السرقسطي الفيلسوف وهو من الوشاحين والشعراء المعروفين .

ومنهم : ابن حزمون وله في الموشحات راي يميز فيه بين التكلف والموضوع .

ومنهم : ابن زهر من اشهر الوشاحين في عهد الموحدين .

ومنهم : ابن عربي المتصوف الكبير .

ومنهم : ابن سهل الاسرائيلي وهو صاحب الموشحة المشهورة : هل درى ظبي الحمى ان قد حمى .

ومنهم : لسان الدين بن الخطيب .

ومنهم : ابن زمرك . وهو آخر وشاح عرفته الاندلس.

موضوع الموشحات : طرقت الموشحات جميع المواضيع التي طرقها الشعر المشرقي بصورة عامة ، ولكنها عرفت اكثر ما عرفت في الغزل ، والخمرة ، واوصاف الطبيعة.

فهذا عبادة يتغزل بحبيبه ويصفه بالهجران ويتهمه بالظلم والجور وعدم الانصاف .

من وليّ . في امة امرا ولم يعدل   يعزل . الا لحاظ الرشأ الاكحل
جرت في   حكمك في قتلي يا مسرف
فانصف   فواجب ان ينصف المنصف
وارأف   فان هذا الشوق لا يرأف

وابن القزاز يشبه حبيبه بالبدر التم ، والشمس الطالعة ، والغصن المورق ، والمسك العطر :

بدر تم . شمس ضحى .   غصن نقا . مسك شم .
ما اتم . ما اوضحا   ما اورقا . ما أنم .
لا جرم . من لمحا .   قد عشقا . قد حرم .
فالوصال . ما قد خلا .   من امل فايت .
والخيال . ما قد علا .   من نفس خافت .

ARCHIVE
archivebeta.sakhrit.com

وابن اللبانة يشبه حبيبه بالغزال ولكن هذا الغزال يصطاد بلحظه الفتاك الآساد الضراغمة :

غزال صاد . ضراغمة الآساد .   بلحظه جاس . خلال ديار الناس

وفي موشحة ثانية يجمع من التشابيه ما يجعلها متصنعة ، متكلفة . فهو يشبه عيون الحبيب بالنرجس وجيده بالسوسن ، وقده بالغصن المياد :

في نرجس الاحداق   وسوسن الاجياد
نبيت الهوى مفروس   بين القنا المياد
وفي نقى الكافور   والمندل الرطب
والهودج المزرور   بالوشي والعصب
قضب من البلور   حمين بالقضب
أذابت الاشواق   روحي على اجساد
أعارها الطاووس   من ريشه أبراد

وهذا ابو بكر بن بقي وقد حيل بينه وبين الفه ، يحس وكأنه الموت يتسرب الى قلبه :

اضحى يقول . مت يا حزين .   قد اكتسى بالآس . الياسمين .
قلت وقد شرد   النوم عني
وأياس العود   السقم مني
صد فلما صد   قرعت سني
جسمي نحيل . لا يستبين .   تطلبه الجلاس . حيث الانين
قلبي اشتياقا
تجاوز الحدا   من لا أطاقا
وكلف السهدا   ليلي رواقا
قلت وقد مدا
ليل طويل . ولا معين .   يا قلب بعض الناس . أما تلين؟

والامثلة كثيرة وكلها لا تخرج في معانيها العامة عما ذكرناه من غزل ووصف للطبيعة عامة .

على اننا نحب ، قبل ختام الموضوع ، ان نعرض ، ولو سريعا ، لموشحتين قد تكونان اشهر ما وصل الينا من هذا الفن الشعري الجديد هما : موشحة ابن سهل الشاعر الاسرائيلي ، شاعر اشبيلية ووشاحها . ومطلعها :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى   قلب صب حله عن مكنس؟
فهو في حر ، وخفق مثل ما   لعبت ريح الصبا بالقبس

وموشحة لسان الدين ابن الخطيب التي عارض فيها ابن سهل ومطلعها :

جادك الغيث اذا الغيث همى   يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما   في الكرى او خلسة المختلس

والموشحتان من معدن واحد ، وتدوران حول موضوع واحد هو التغزل بالحبيب . على ان ابن الخطيب ينهي موشحته بتقديمها الى ممدوحه بعد ان تناوله بالمدح في مقطعين منها . والموشحتان فيهما الكثير من التشابيه الحسية المستمدة من اغصان الرياض ، وفواكه البساتين ، والمطر ، والشهب ، والاقحوان ، والورد ، وازهار الرياحين .

فاذا ما شكا ابن سهل وجده لحبيبه بسم ابتسامة المعترض المتفجر بالماء على ربوة متفتحة الازهار مخضرة الاشجار كأنها في عرس :

كلما اشكوه وجدي بسما   كالربى بالعارض المنبجس
اذ يقيم القطر فيها مأتما   وهي من بهجتها في عرس

ويتحمل الذنب في حبه وحبيبه هو المذنب ، وينبت الورد في خد حبيبه من نظراته وهو محرم عليه .

اسمعه يعبر عن ذلك تعبيرا لطيفا :

ايها السائل عن جرمي لديه   بي جزاء الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه   مشرقا للشمس فيها مغرب
ذهب الدمع باشواقي اليه   وله خد بلحظي مذهب
ينبت الورد بغرسي كلها   لاحظته مقلتي بالخلس
ليت شعري أي شيء حرما   ذلك الورد على المفترس ؟

اما موشحة ابن الخطيب الاديب والشاعر والوزير والمؤرخ فهي أسير موشحة بين الموشحات الاندلسية وهي اكثرها زخما . وأعمقها معنى ، وان كانت معانيها على شيء كثير من البساطة والوضوح ، نظمها معارضة لموشحة ابن سهل وهو يذكر فيها ايام الاندلس الحلوة التي مرت مرور الاحلام ، كما يتذكر ليالي الحب والهوى ، ليالي الفرح والمرح ، ويأسف على زمان مر وكأنه لمح البصر!..

وفيها صرخات وجدانية يناجي فيها « أهيل الحي » بكلام عذب رقيق ويستصرخهم ليتقوا الله في الحبيب الذي تكاد تتلاشى انفاسه حبا وحسرة :

يا اهيل الحي من وادي الغضا   وبقلبي مسكن انتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا   لا ابالي شرقه من غربه
فاعيدوا عهد أنس قد مضى   تعتقوا عبدكم من كربه
واتقوا الله واحيوا مغرما   يتلاشى نفسا في نفس
حبس القلب عليكم كرما   أفترضون خراب الحبس ؟

هذه هي موشحات الاندلس :

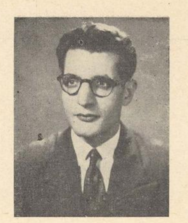
نفحات باردة لا تلبث ان تهب حتى تخبو ، أصداء عميقة لاصوات بعيدة عميقة في جمجمة وغمغمة ، همسات ووشوشات تدغدغ الاذن ولا تصل دائما الى الاعماق .

موسى سليمان

بطاقة حزن

نرجسة الاحزان في عيني
نرجسة الاحزان والدموع
والحب والشموع
والليل والشوارع الحزينة
والظل والمدينة
نرجسة الاحزان في عيني
والهارب الآتي من الضياع
والنار والغبار والقناع
والموت والآلام والسكينة

الكويت   موسى صرداوي



محمد رجب البيومي

اميرة القصر تهوى عدي بن زيد

بقلم محمد رجب البيومي

دانت الحيرة لبطش النعمان لا عن طواعية ، فقد كانت حياته السالفة في عهد أبيه لا تهيء القلوب الى الالتفاف حوله عن رغبة واعتزاز ، ولكنه قدم على الناس في جحفل من اساورة الفرس ، ومعهم كتاب كسرى ، يحذر ويتوعد ، ويعلن ان النعمان مطلق الأمر في التنكيل والتقتيل والارهاب ، ومن ورائه جيوش آل ساسان تشد أزره ، وتبارك منحاه ، وقد شعر النعمان حقا بالأمن والاستقرار وزال عنه ما كان يغمر اباه في اخريات حكمه من قلق وتوجّس واشفاق ، وأين ابوه منه ؟! ولم يكن للمنذر ما له من جيوش فارس وأسلحتها ، وتأييد الايوان وحدبه ، ان عديّ بن زيد قد أسدى له الجميل مضاعفا حين مهد له امر الملك باحتياله ، وحين أشار على البلاط ان يعزّز تابعه بالسلاح والخيل والجند ، وان النعمان ليدرك منّة هذا الرجل ، ويحاول ان يتحدث بها الى احد غير عصام بن شهيد تنفيسا عما يجول بنفسه من مشاعر الثقة والحنو والاعتراف بالجميل فلا يجد غير ابنته الفاتنة الجميلة هند الحسناء ، فهي التي تحفظ مكنون سره ، وتظهر على طوايا فؤاده ، وانه ليزيح عبئا ثقيلا يجثم على صدره حين يسرد عليها خفاياه ونياته ، ويرى في اجابتها اللبقة ما يسعده ويرضيه ، لقد تحدث اليها في خلواتها الهادئة عن عديّ فأكثر واطال ، وقد بسط لها ما يتمتع به الشاعر العربي ، في الايوان الفارسي من سيطرة ونفوذ ، وما ينهض به في بقاع الارض من سفارات سياسية تنبيء عن ثقة به ، وحنكة لديه حتى امتلأ ذهنها بعديّ ، واعتقدت فيما بينها وبين نفسها انه لم يخدم أباها وحده ولكنه اسدى اليها أجمل يد حين طوّق والدها بالملك فرفع من شأنها بين العرب اذ صارت كريمة الملك ، ومطمح الانظار من ذوي التطلع والاستشراف ، وقد شاء القدر ان تفد على النعمان جارية فارسية ترعرعت في الايوان وساقها كسرى هدية لتابعه في حشد من التحف والألطاف ، فألحقها الوالد بابنته ، وانست هند بصاحبتها « جيهان » انسا جاوز الوصف اذ رأت في جمالها وسلوكها ولغتها وثقافتها وعاطفتها ما أشبع لديها رغبات متعددة ، وكانت هند تجيد الفارسية اذ تقفتها في الخورنق على يد دهقان جائل ، حاز رضا النعمان من قبل فجعله استاذ هند ، وقد حقق الرجل ظن الاب فيه ، فصاغ من الاميرة مثالا للذوق المتحضّر والادب المترف ، والرقة الدمثة مع ما حباها به الله من جمال غض ، وشباب فينان وعيش مخضّل ونعيم رفاف ، فلما وفدت عليها « جيهان » رأت في حديثها المتنوع وذوقها الرفيع ، ورقتها الناعمة ما انعم عيشها ، ونضر اوقاتها ، وقد جلست تسامرها ذات عشية ، فجاء ذكر عديّ على لسان الاميرة ، فانطلقت جيهان تقول دون احتشام انه يا مولاتي اجمل شاب في البلاط الفارسي ، وقد كنا معشر جواري الايوان ننكمش وراء الابواب وعيوننا الى الثقوب الضئيلة لنراه في مراحه ومغداه ، ويقولون انه فات الاربعين بعامين ولكنا نبصر في اعتدال قامته ، وترقرق محيّاه ، وسطوع عينيه ، وائتلاق شعره الفاحم ، وافترار ثغره عن اللؤلؤ النضيد ما نحسب به انه لم يتخط الخامسة والعشرين !! وهو بعد متحدث لبق يجيد الفارسية ويقرأ قصصها المسلسلة في تدفق وافتنان ، وقد قيل لنا انه شاعر عربي كبير وانا لا املك الحكم عليه في امر لا افهمه ولا ادّعيه !!

فعضت الاميرة بأسنانها اللؤلؤية على شفتها الرقيقة وقالت في تلهف : لقد شوّقني اليه حديثك عنه يا جيهان ، وانا اعرف جيدا انه سيزور والدي عن قريب فكيف السبيل الى مرآه !

فضحكت جيهان وقالت في بساطة امر يسير !! تطلعي اليه من الثقوب خلف الابواب !! فظهر الغضب في وجه هند ، وقالت في انفعال : لست جارية في الايوان يا جيهان ! فادركت صاحبتها مبلغ تسرعها في القول ، وصبغ وجهها حياء جميل خلع عليها مزيدا من الفتنة والرواء وقالت في انكسار : معذرة يا اميرتي الحسناء !!

فربتت هند بيدها على كتفها في تسامح ، وبادرتها تقول : أهو يعرفك شخصيا يا جيهان ؟

فردت تجيب في ثقة ، انه صديق مهذّب ، واذا حضر الينا في الخورنق فسأحييه وأحادثه ان سمحت مولاتي دون اعتراض !

فتطلعت هند تسأل وفيم يجري حديثكما يا جيهان ؟

فأدركت جيهان بغريزة حواء ان عديّا قد وقع في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفس الاميرة اذ سمعت عنه ما شاق وراق ، فقالت في ابتسام : سيجري الحديث عن سيدتي هند بنت النعمان لانها اميرة عربية تتكلم الفارسية وعديّ شاعر عربي يجيد لسان فارس ، فبينهما من تشابه الثقافة ما يدفعهما الى التعارف والاختيار !

فمال بهند ضعف رقيق لم تشعر به من قبل، وصاحت في تخاذل مضطرب : صدقت يا عزيزتي فانا احب ان اراه ، فاطمأنت جيهان الى تصريح الاميرة وقالت في ثقة : وسيكون سعيدا جدا بهذا اللقاء !! على اني اقترح على مولاتي ان تقرأ من الآن كثيرا في ادب فارس ليقف منها عديّ على ما يبهره ويسبيه !

فردت هند : وسأقرأ من الآن شعر عديّ نفسه ، فانا اعلم ان الشعراء يقدسون ما ينظمون من اشعار ! ويمكنني ان اجمع اكثر من افواه الرواة ، فما اكثر ما يتردد في جنبات الخورنق ، وارجاء الحيرة على السواء ، ثم استأذنت من صاحبتها متعجلة واخذت تتنقل في مقاصر الخورنق ، حتى بلغت حجرة والدها فدقت الباب في رفق واسعدها ان تجده وحيدا هادئا ، وكان قد نهض من نوع القيلولة فأخذت تلاطفه بالقول متخيّرة ما يحب من الحديث ، وقد جال بهما القول كل مجال حتى وصلت به في تأت رفيق الى عديّ فقال والدها دون ان يعلم ما يعتلج في صدرها من صراع : سيزورنا يا بنيتي بعد خمسة ايام فقد جاءتني رسله وكتبه معلنة ذاك !

فأجابت هند في احتيال سمعتك تقول انه شاعر يا ابتاه . وانا لا افهم كيف يكون كاتب البلاط الكسروي من شعراء العرب الافذاذ !

فعجل النعمان يجيب : قرأت الكثير من شعره ، وهو اعظم من المنخل ، واقل من نابغة ذبيان !!

قالت هند : ومن يسمعني بعض ما قال ؟

فاجاب النعمان آتيك براوية الخورنق زياد بن ظبيان فيسمعك اكثر ما نظم ، وستفهمين وتحكمين !!

فردت في انتهاز : هو ذاك يا ابتاه !

ولم يكن زياد الراوية ببعيد فسرعان ما وكل اليه ان ينشد الاميرة اشعار عديّ فأخذ يفد اليها مرتين كل يوم ، فينشد وينشد ، وهي تطلب وتستعيد حتى مضت الايام الخمسة وحان موعد اللقاء !

ولقد حشد النعمان جهده الرائع في استقبال عديّ ، فكان الخورنق من الروعة والحسن في مشهد خلاب جذوب ، وماجت ضفاف السدير بالمحتشدين من رؤساء العشائر ، وشيوخ القبائل ووجهاء الحيرة ، وامراء البيت المالك وقد اصطف الاساورة من حامية الجيش الفارسي بملابسهم الحربية على الجانبين ، فخلعوا على الاحتفال في عيون العرب هيبة وجلالا لا يعهدان ، وتقدم عديّ فصافح مستقبليه في ادب ، ولم تأخذ عينه ابهة المنظر وجلال المشهد بل حسب ذلك كله تعبيرا عن عاطفة ملك مبتهج معترف بالجميل لذويه ! على انه حين خلا بالنعمان شكره في رقة ثم قال له علم الله اني ما قدمت الى الحيرة الا التماسا للراحة ، وهروبا من مراسيم الايوان واحتفالاته الصاخبة ، وانا اطمع ان اجد هنا السكون والهدوء وان ما لمسته من احتفائك الكبير قد سرني بمغزاه ومدلوله لا بمظهره وصورته ، فاذا شئت ان انعم بما اريد ، فارجو ان تنهي مظاهر المجاملة ، وما احب لنفسي بالخورنق غير ان اجلس ساعات الصفاء مع شعرائك ورواتك فانا انسان اعالج الشعر العربي ، ولا أجد في المدائن على سعتها من يطارحني القصيد العربي فأسمعه ما نظمت ويسمعني ما قال ، فاذا تيسر ذلك لديك ، فانا ذو حظ عظيم !

فقال النعمان في ادب : ان لدي من تود ، فالنابغة الذبياني ، والمنخل اليشكري وزياد بن ظبيان لا يتركون مكانهم من الخورنق ، فاذا اذنت حضروا الى مجلسك طائعين .

فبادر عديّ يطلب النابغة وزيادا وحدهما دون المنخل ...! وشاء النعمان ان يسرعا بالمجيء فأقبلا دون انتظار ، ورأى الملك ان مقامه في مجلس الشعر ناشز نافر فاستأذن مبتسما وكان عديّ يعرف صاحبيه فسار الحديث في ملاطفة وابتهاج !

قال عديّ بعد ان رحب بالنابغة ، لقد سرتني ابياتك الاخيرة التي تقول فيها :

لا يهنأ الناس ما يرعون من كلأ — وما يسوقون من أهل ومن مال
بعد ابن عاتكة الثاوي ببلقعة — أضحى ببلدة لا عم ولا خال
حسب الخليلين نأي الارض بينهما — هذا عليها وهذا تحتها بال ! !

فان بيتك الاخير يحمل من حدة العاطفة وروعة التأثير ما هو جدير بمثلك واني لأؤثر ان تتجه في شعرك هذا الاتجاه !

زفر النابغة زفرة حارة ، ثم قال في صوت يشبه الهمس : ليتني كنت مخيّرا في ما أقول من الشعر فافرغ الى اصطياد الحكم العاقلة مما يعجبك ويرضيك ولكن ما فرض علينا من المدائح يشغلنا عن التعمق والتفكير !

فتعجل عديّ يقول . ولكن التفكير في مصير الوجود الانساني مما يشغل الناس جميعا وانا شخصيا لا ابرح اعالجه فيما اقول فلا بد ان يشغل شاعرا كبيرا قوي الاحساس كنابغة بني ذبيان فلجأ النابغة الى المجاملة وقال: هيهات لا يستطيع شاعر ما ان يبلغ في ذلك مبلغ عديّ بن زيد حين قال :

من رآنا فليحدث نفسه — انه موف على وشك زوال
رب ركب قد أناخوا عندنا — يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانقرضوا — وكذاك الدهر يودي بالرجال
وكذاك الدهر يرمي بالفتى — في طلاب العيش حالا بعد حال

فابتسم عديّ مستحييا ، وبادر زياد بن ظبيان يقول : لقد كنت أروي هذه الابيات بالامس للاميرة الحسناء هند بنت النعمان فحفظتها للمرة الاولى وطلبت المزيد !

فسأل عديّ : أللنعمان فتاة تقرأ الاشعار وتحفظها على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شغف واعتزاز فقال زياد انها تطلب شعرك أنت بالذات !

فتعجب عديّ وسأل عن مدعاة ذلك ، فقال زياد : لقد استوضحتها السر فعلمت ان وصيفتها الفارسية «جيهان» ذكرت لها الكثير عنك حتى رغبت ان تروي جميع ما نظمت من ابيات فوضع عديّ يده على جبهته كمن يتذكر شيئا بعيدا ، ثم قال : جيهان ، لقد كانت معنا في الايوان، واذكر انني اشرت على البلاط باهدائها الى النعمان !

فاسرع زياد يقول : ان قصائد سيدي عديّ قد اكتملت عند الاميرة دون نقصان وكنت انا راويتها المختار ..!

فأثار هذا النبأ بعض الفضول في نفس الشاعر الزائر ، ولكنه صرف الحديث الى منافذ اخرى من القول فسمع من النابغة وسمع له ، حتى اذا انتهى المجلس عاد هذا الفضول الملح بعنف ، وتقدم النعمان لزيارته فسأله ملاطفا احضرت اليكم جيهان ؟ لقد ارسلتها باختياري الخاص !

فرد النعمان يقول ، كل خير يأتي من المدائن فأنت مصدره المتفضّل ؟فقال عديّ : اوثر ان اقابلها من الغد ، فابتسم الملك يقول : هو ذاك !

وكان في النعمان خبث والتواء فاشتغل ذهنه الماكر بما يريد عديّ ، وتذكر ان ملوك فارس يبعثون جواريهم في هداياهم الممنوحة ، لتكون عيونا لهم في القصور ، فترى الجارية كل شيء ، وتعلم عن عيان ما يدور بالمملكة من خفايا الامور ثم تبلغه بطريقتها الخاص الى من يعنيهم ان يعرفوا ما يكون كما كان ، وتعجب لنفسه ، كيف فاته ذلك ، فلم يفطن اليه منذ نزلت جيهان لديه ، ولعلها باندماجها التام مع هند ، وباطلاعها المستوعب على منعرجات الخورنق ، وخفاياه قد علمت ما لا يجب ان تعلم ! ان عديا حريص على لقائها ، ومن يدري لعلها تستطيع ان تغير انجذابه الى النعمان بما لا يروقه من الانباء ، بل لعلها لخبث في طويتها تختلق وتفتعل وتتزيد ، فتجعل من الحبة الصغيرة جبلا يناطح السحاب ، انه لمأزق ، ومأزق ضائق ، مهما وثق بعدي ، ومهما اطمأن الى شعوره الخاص ...!

وزاد التفكير بالملك فقام من فوره واستدعى الاميرة هند ، ليقف على رايها في طوية جيهان وهي ادرى الناس بها دون امتراء ، فكتمت الاميرة فرحة غامضة في نفسها حين علمت ان عديا سيقابل جيهان . وانها لا محالة ستذكر عنها ما وعدت به من الانباء ، فاندفعت تطمئن والدها المتلهف على حسن نيتها وجميل استعدادها ، وانها تعلم عن ايقان ان جيهان تحب الخورنق ولن تقول عن ساكنيه غير ما يسرهم من انباء !

فاطرق النعمان مفكرا .. ثم قال ومع وثوقك الزائد بجيهان فانا اؤثر ان يتم اللقاء في غرفة السر ، لتكوني انت جوار الستار الحريري ، وتسمعي كل حرف يقال ، وتعلم جيهان ذلك قبل الذهاب فتمتنع ان تخبر بما يشين ، واذناك مهيئتان ..

نطفت الفرحة على نفس الاميرة واستطاعت ان تخفيها بجهد جاهد ، اذ انها بتدبير والدها نفسه ستكون قاب قوسين او ادنى من عدي ، وكانت تعتزم الاقتراب منه مخاطرة من وراء المليك ، وها هوذا يمهد لها السبيل ، ثم قالت في انتباه ، سأعمل على ذلك بل سأهيء لجيهان ما تقوله من الحوار ، وهي تعلم اني اسمع كل حرف يقال !

فاشرق وجه النعمان وقال في ثقة اذن سأستريح ، فردت هند مستبشرة : دون نزاع يا ابتاه !

مضت ليلة حافلة بالخواطر المتطلعة الى ما سيكون فعديّ لا تبرح اذنه كلمة زياد بن ظبيان « انها تطلب شعرك انت بالذات » ، وهند وجيهان تحلمان باللقاء وتمهدان لما يقع موقع القبول من عديّ ، وقد رحبت هند بلقاء الشاعر اذا طلب ذلك ، وليس بينهما غير ستار يرتفع بخمسة اصابع دون ضجيج ، وانها لتتخيله في جماله الرائع ، هذا الذي يدفع جواري الايوان الى التلهف عليه من ثقوب الابواب !! فتتمنى ان يأتي الغد دون ابطاء ، ومهما يكن من امر هذه الخواطر المتطلعة الى ما سيكون فقد حانت ساعة اللقاء ، وانتقل عديّ بتدبير النعمان الى غرفة السر ، واخذت هند مكانها خلف الستار ، ووثق النعمان بيقظة ابنته فانسحب في اطمئنان .!

تلقى عديّ جيهان فانس بمرآها البديع وجال معها في بعض الذكريات عن الايوان مما سمحت به الذاكرة ، وسأل عن حالها في الخورنق ، فقالت في هدوء : انا سميرة الاميرة الحسناء الفاتنة هند بنت النعمان !

فرد عديّ يقول : سميرة الاميرة الحسناء الفاتنة هند بنت النعمان !! فيم اذن تتسامران ! فقالت جيهان في ادب فارس وشعر عديّ بن زيد الخلاب فتطلع الشاعر في احتفاء وسأل : ومن ادرى الاميرة بأدب فارس ولسانها عربي مبين !

فأجابت جيهان انها الاميرة العربية الوحيدة التي تحذق الفارسية كأميرات الايوان وانها لتزيد عليهن بما تحفظه من شعر العرب ، ولها نقد وتعليق ، بل نقدها يتصل كثيرا بشعر عديّ اذ هو منها موضع الاحتفاء والاهتمام !!

فقال عديّ : ما أشوقني الى ان اسمع نقدها الصريح !

فانتهزت جيهان ما سمعته وقالت متعجلة انها ايضا مشوقة الى لقائك بعد ان حفظت قصائدك الجياد ، واستطيع ان استدعيها ، ولكن !

فقال عديّ متطلعا : وما وراء ولكن هذه ، فأجابت جيهان : انها لن تستأذن والدها وسيحتج بذلك فاذا ضمنت لي الا يعلم النعمان شيئا عن هذا اللقاء ، فسأضغط عليها بعنف والزمها بالمجيء !!

فقال عديّ لقد ضمنت لك ذلك : فهيا اذن !

فخرجت جيهان وغابت بعض الوقت وكأنها تستدعيها من مكان بعيد ، ثم اقبلتا معا حيث تحبان !

ونظرت هند فرات من شباب عديّ وجماله ورونقه ما لا تظن ان الله قد منحه لانسان ، ونظر عديّ فعرف ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هند جديرة بأن تكون كما يصفها الناس « الاميرة الفاتنة الحسناء » !!

فابتداها يقول في ابتسام :

سمعت انك تنقدين شعري فما وجه النقد ايتها الحسناء؟

فردت هند تقول اني لاحفظه جميعه فسلني عما تشاء !

فكتم الشاعر دهشته وقال : تحفظينه جميعه ، ما هذا الاهتمام الذي لا استحقه من ناقدة مفتان !؟

فاجابت هند : انت الشاعر العربي الوحيد الذي ثقف بثقافات مختلفة فأمتع بشعره الروح وانعش الوجدان !

فشكرها عدّي في شوق ثم قال : لنفرغ من المديح ، وننتقل الى النقد ، ما الذي تأخذينه علي فاتجنبه كما تشائين ؟

فقالت هند انت في شبابك الريان ، ونعيمك المخضل ، وجاهك النافذ تملأ قصائدك بالتحسر والتفجع ، وتذكر مصارع الايام ومصاير الملوك وسطوات الدهر وكأنك ناسك يدلف الى نهايته بعد أن عمر مائة عام !!

فزفر عدّي زفرة حارة وقال ، هذا ما آخذه على نفسي ، ولو قرات ما قرات من تاريخ الاكاسرة لشاه في عينك كل جاه صوّال !

فتعجلت جيهان تقول : انها تحذق لسان فارس ، وتقرأ تاريخ الاكاسرة بامعان ، ثم نظرت اليهما قائلة : وامامكما المجال فالهجا بما تعرفان !!

وكانت ساعة ممتعة حافلة تشقق فيها الحديث المتبادل عن آل ساسان ومن سبقهم من الاكاسرة ورويت اعاجيب رستم ومهراب ، واقاصيص ذي القرنين والضحاك ، مما امتلأت به صحف فارس ، ونظر عدّي فاذا هند تحتل قلبه بعنف وجبروت ، واذا الوقت يمضي سريعا وهو لا يستطيع مبارحتها لحظات فتململ متأوها وقال : يعز علي ان يضطرنا الوقت الى انهاء هذه اللذة الهانئة واقسم اني لم اتمتع بمثلها في الحياة !

ثم مد يده ناهضا الى هند ، فنهضت كما نهض ، وتطلع الى وجهها الجميل ، فلمح دمعة لؤلؤية تتساقط حذر الفراق ، فلمس انها تحس نحوه ما يحس من انجذاب وقال لها في تطلع سنلتقي كثيرا يا هند !

فاطرقت تقول : تلك امنيتي اذا تشاء !

وخلا عدّي الى نفسه ، ففكر وفكر ، واستقر على راي نهائي ، يفاجىء به النعمان متى اقبل ، ولم يكن شيء يثني الملك عن ضيفه ، فسرعان ما أقبل عليه يتحدثان ويتطارحان، حتى جاء حديث جيهان فقال عدّي :

لقد عرفت منها ان لك فتاة تجيد الفارسية مع لسانها العربي ، فأومأ النعمان بالايجاب فقال عدّي لو اذن الملك طلبت يدها ، فتؤنسني بالبلاط الكسروي اذ تخاطبني بالعربية في خلوتي ، وبالفارسية في عملي بالايوان ، فدهش الملك لما لم يتوقع ، فنظر اليه عدّي منتظرا ولاحظ تأخره في الرد . فصاح النعمان — في غير احتراس — لو اذنت انت كان لك ما تشاء ! وانها لتروي شعرك يا عدّي وكأنها ملهمة تستشف عن بعد ما تأتي به الايام !! فعجل عدّي يقول ، الديك ما يدعو الى الامهال ؟

فقال الملك بل لدي ما يدعو الى الاسراع متى تريد !

فاطرق عدّي وهو يقول ان شئت عجلت بالزفاف فاصحبها في رحلتي الى نجد بعد اسبوع ! كعادتي الموسمية في الصيد واللهو والاستجمام !!

فقال النعمان لك ما تريد ، وسأقيم معالم العرس من الآن ، فلا احب الى نفسي من أن تتأكد صلتي بك وتزداد .

فصاح عدّي : معالم العرس ولم يمض عام على وفاة ابي وابيك ، لنقم العرس في قلوبنا لا في عيون الناس .

فرد النعمان في تردد : قلت قبل ذلك ، لك ما تشاء !

الفيوم — محمد رجب البيومي

تحية لتاييس

رائعة اناتول فرانس

من بلادي .. من شذا الليمون ، والصحو الوليد
من منار الخير ، من لبنان ، خفاق الوجود
اتغنى باسمك الرفاف ، في الدهر البعيد
كالشذا المرسل ، او كالطل في الفجر الجديد ..

ما علينا لو تغنينا ببنت العبقرية
ورشفنا كأسها المغناج للطهر تحية
وروينا قصة الاخلاص والنفس النقية
عظة الامس ، وما في الامس من ذكرى شجية

نحن يا اخت على خطوك ، والموت المصير
وبقايانا ستذوى مثلما تذوى الزهور
انما يبقى سنا الاشواق والقلب الكبير
ساطعا كالنجمة الغراء ، في ليل الدهور

يا لتاييس اذا طاف اسمها فوق المباسم
فرحة عذراء او حلم شذا النفح ، ناعم
وصدى ليل الاماني وابتهالات الحمائم
اسمها ... في الخاطر اشواق وخفق متناغم

بعث الورد جديدا ضاحكا في وجنتيها
وزها الشعر لدى طافت رؤى في مسمعيها
وهفا اللحن مشوقا ظامئا من شفتيها
كل حلو عبقري ، جاءها منها ... اليها .

محمد شمس الدين المحامي



يوسف العاني

المخرج الايطالي فردريكو فيلليني

بقلم يوسف العاني

حينما عرض فيلم (٨ ونصف) في المهرجان السينمائي الدولي الذي انعقد في بيروت في شهر تشرين الاول الماضي (اكتوبر) ، اثيرت حوله تعليقات صحفية ، مجرد تعليقات لا اكثر ولا اقل . بعضها يصف كيف خرج الناس من صالة العرض ، والبعض الآخر يصف الفيلم بالصعوبة والتعقيد . والواقع ان معظم التعليقات كانت واردة وصحيحة ، الا انها لم تكن كافية لاعطاء فكرة ، ولو عامة عن الفيلم نفسه ، وعن مخرجه فردريكو فيلليني ، كي يستطيع المشاهد او القارىء معرفة الاسباب التي جعلت بعض المشاهدين يتركون القاعة قبل نهاية الفيلم ، والبعض الآخر يتتبعه بلهفة واهتمام .. هذا من جهة ومن جهة اخرى لم تنظم ادارة المهرجان ندوات ثقافية او فنية تطرح فيها كثير من القضايا الفنية للبحث والمناقشة، مستفيدة من وجود شخصيات سينمائية كبيرة لها رايها الهام في التيارات السينمائية الحديثة ، او القديمة . وفي مقدمة هؤلاء « جورج ساوول » وبديهي ان فيلم (٨ ونصف) كان فـي مقدمة الافلام الجديرة بالتحليل والمناقشة لانه ـ في رأيي ـ احد الاعمال السينمائية الهامة في حياة فيلليني ، وتجربة غنية حرية بالاهتمام . وكم كنا نتمنى ان نستمع الى راي جدي ومدروس لبعض فناني المهرجان من خلال مؤتمراتهم حول العديد من الافلام التي عرضت ، لكننا مع الاسف لم نقرا لهم الا اراء عرضية سريعة ، كان اكثرها يتسم بروح التهرب ، والدوران حول نقاط هامة كان من الاجدى ان يولوها اهتمامهم وعنايتهم .

اذا اردنا التعرف على (فردريكو فيلليني) والمراحل التي مر بها وتخطاها علينا ان نتتبع اهم اعمال هذا المخرج الذي استطاع خلال فترة ليست طويلة ان يجلب اليه اهتمام وانتباه النقاد والجمهور .

لا سترادا (الطريق)

ففي فيلم لا سترادا (الطريق) دخل فيلليني البيت من ابوابه ـ كما يقولون ـ فقد سبق له واخرج اربعة افلام ناجحة ، اعقبها بفيلمه الجديد ـ لا سترادا ـ الذي اثار اهتمام النقاد اليه ، لقد انتقى نماذج فيلمه من بين الناس البسطاء ، معبرا عن واقع حي ، لا يثير الاهتمام لاول وهلة، فبطل القصة ، احد افراد السرك من المهرجين العارضين ، عضلاتهم والعابهم التي تعتمد على القوة والبأس والشدة ، يتنقل من قرية لاخرى على دراجته البخارية حاملا كل امتعته ، وفتاته التي تشاركه العابه ، وتضرب له على الطبل ، وتؤدي بعض الرقصات والحركات المضحكة معه . فتاته هذه ، اختارها من احدى القرى النائية تعويضا عن اختها التي ماتت وهي تؤدي عملها معه ايضا .. الفتاة الجديدة لم تأت مختارة ، بل دفعها اهلها الى ذلك دفعا ، كي يتخلصوا من فم يطالبهم باللقمة !

هذا كل اطار قصة لا سترادا ، ومن هذا الاطار الانساني، كانت احداث عديدة تتتابع بسلاسة وبساطة متناهية . فالفتاة الصغيرة البسيطة تتعرف شيئا فشيئا على زميلها الذي يصبح كل شيء بالنسبة لها ، زوجها ، رئيسها ورفيقها في الطريق عبر الدروب التي يقطعانها سوية بدراجتهما البخارية . فزميلها كان يعاشر امراة اخرى . وهو عنيد وقح لا ضمير له ، تسبب بقتل شاب طيب بسيط ، واخفى جثته بعد ذلك .. الفتاة عندئذ لم تعد ترضى به لا زميلا ولا صديقا وترفض حتى العمل معه ، لانه مجرم . وذات صباح تستيقظ الفتاة لتجد زميلها قد هرب وتركها وحدها.

وتمر شهور عديدة ، وهذا الزميل يؤدي العابه وحيدا ويمر باحدى القرى النائية ذات يوم فيستمع الى اغنية تغنيها فتاة صغيرة ، كانت زميلته تغنيها اليه دائما ، فيسأل الفتاة عن اللحن وكيف تعلمته .. فتخبره ان فتاة فقيرة ومجنونة ، مرت من هنا وكانت تغنيه ، فتعلمته منها قبل ان تموت تلك الفتاة المسكينة !

وهكذا يقع هذا الخبر عنده موقعا اليما ، فيترك القرية ليؤدي عمله من جديد ، ولكن برتابة ولا مبالاة ، حتى يعزف الجمهور عن مشاهدته وتشجيعه ، فيظل يسكر ويعربد ، ويتعارك ويهان ويذل . وفي الختام يسقط منهارا على جرف من الرمل منكسا راسه باكيا بمرارة .

ان فيلليني بلاسترادا ، قد قدم فيلما شاعريا ، ذكيا ، مليئا بالصور الانسانية الموحية ، وكان اسلوبه سهلا وبسيطا ، لكنه كان يسرد لنا احداث الفيلم بايقاع بطيء

يتناسب والشاعرية التي ظلت الطابع المميز للفيلم من اوله الى آخره .

ليالي جبريا

في هذا الفيلم الذي قدمه لنا فيللني ــ والذي اشرك فيه زوجته « جيليتا ماسينا » كما اشركها في لا سترادا ــ اختار موضوعه من الطبقات الدنيا ــ كما يسمونها ــ واراد هذه المرة ان يذهب بعيدا ، فدخل بيوت الدعارة ، واختار منها شخصيات فيلمه ، كل ذلك ليدين المجتمع الذي يرضى ان يعيش فيه اناس كهؤلاء ، تعاسة وبؤسا وشقاء .

الاجواء كانت مثيرة جدا ، ولا اعني هنا الاثارة الجنسية، بل اثارة العطف والشفقة على هذه النماذج البشرية التعسة .

« جبريا » واحدة من هؤلاء تتعارك مــع زميلاتها على زبون سرقته منها واحدة ، وتصرخ وتتحدى البوليس وترميهم باقبح الالفاظ .

الا ان جبريا فتاة طيبة ،لا تتمنى الا زوجا .. زوجا يأويها ويحميها ويبادلها الحب . كان هذا كل همها في الحياة . وذات مرة تقف امام احد الحـواة لتعبر له عن امنيتها تلك ، ولتستمع اليه وهو يكشف لها عن مستقبلها و « بختها » ويستمع لهذا الحديث شاب فقير ، يبدو لاول وهلة انه طيب القلب نقي السريرة . فيأتي ليفاتحها بحبه ، ورغبته في اسعادها ، ويعرض عليهــا الزواج . وتعيش جبريا ايامها بفرحة غامرة . وتقرر الذهاب مع خطيبها ، فتحمل معها كل ما تملك من ملابس وحلي ونقود ، وتغادر مدينتها مع زوجها المرتقب هذا ، الى حيث المكان الــذي سيعيشان فيه . وفي الطريق يمســك بها هــذا الزوج المنشود ! ينوي قتلها والقضاء عليها ، ليستولي على حليها ونقودها ويفر هاربا . وتظل المسكينة تقاوم فيأخذ النقود والحلي ويهرب . وتظل جبريا تبكي، وتلعن الناس اجمعين، وتقرر الانتقام من كل الناس دونما رحمة او شفقة ما دام الناس ، كل الناس ، مجرمين وغير طيبين .

وبعد دقائق تنهض لتعود الى مدينتها وزميلاتها .. وهي تحمل في اعماقها الحقد الاسود ضد البشريــة جمعاء ، وتظل تسير بين الاشجار السامقة متعبة ، كئيبة حتى تصل الى الشارع ، ويأتي الى سمعها من بعيد لحن عذب يغنيه صبية صغار وهم يلعبون ، ويقتربون منهــا شيئا فشيئا محيطين بها ، مبتسمين لها بفرحة والاغنية تعلو وتعلو .. وتقترب فتاة صغيرة حلوة قائلة لها :

« مساء سعيد ! » فتلتفت جبريا اليها وهــي تبتسم : « مساء سعيد » ..

وتبتعد جبريا عنهم ، لكن الابتسامــة العريضة تظــل مشرقة في وجهها ، وينتهي الفيلم .

ان فيللني في هذا الفيلم لم يبتعد كثيرا عن لا سترادا في اسلوبه ، ومعالجته . لكنــه كان اكثر حيويــة في خلق الاجواء واعطاء التناقض الحاد بين حياة جبريا وزميلاتها وبين حياة اخرى ، يعيشها اناس آخرون ، اغنياء من طبقات عليا لا يرقى اليها الشك او الحساب !

وفي ليالي جبريا ــ ايضا ــ ظلت شاعرية فيللني تكسب الفيلم رقة ووداعة كنا نحسها رغم الواقع الصارخ الــذي كشف وعبر عنه في فيلمه .

ان فيللني مخرج فنان لا يمكن له ان يظل يعيد نفسه او يكرر اسلوب تعبيره مهما اختلفت وتباينت مواضيع اعماله الفنية ، كلا ، انه يؤمن ان التعبير عن مضمون الفيلم يتطلب ملائمة الاسلوب لذلك المضمون ، وهكذا فهو يسعى الى البحث عن اشكال تعبيرية جديدة .

دولشه فيتا (الحياة الحلوة)

ان فيللني في « دولشه فيتا » ينهج نهجا آخر يختلف عما لمسناه منه في لا سترادا وليالي جبريا . ان دولشه فيتا شيء آخر يختلف عن كليهما مــن حيــث موضوعه ومحتواه، لهذا كان اسلوب التعبير فيه والطريقة التي اتبعها في عرض احداث الفيلم شيئا جديدا ، ما زال فيللني وحتى في فيلمه الاخير (٨ ونصف) متأثرا بها .

يمثل موضوع دولشه فيتا الاختيار المعاكس لفيلميــه السابقين . فناسه وحياتهم تنعكسان عن الطبقــات العليا وليست من الاوساط الدنيا او الطبقات الفقيرة ، انها حياة زاخرة غنية بالمظاهر الخلابة والاضواء الساطعة ، ومع هذا فهي ابعد من ان نحترمها او نقف باجلال وتقدير لناسها .

كان الفيلم مجموعة لوحات يدخلها صحفي ، لوحة بعد اخرى . وتجربة بعد تجربة فتترك انطباعات متجددة في ضمير هذا الصحفي الفنان . ان الفيلم كشف ذكي وصادق للمجتمع الايطالي ، وانه راي جريء وقــاس للعاملين على ستر هذا الواقع والحفاظ عليه .

ان فيللني قد ركب مركبا صعبا في « دولشه فيتا » .. لقد اعطى تفصيلا لا ينتهي لموضوع فيلمه الذي استغرق ثلاث ساعات او تزيد جسد خــلالها الحيــاة الحلوة هذه تجسيدا ترك اثره ، صخبــا وسخطا وسخرية واعياء في نفــس الصحفــي الشاب ، وهكــذا وجدنا انفسنــا نحن المشاهدين الذين كنا نكتشف هذه الاجواء ونتعرف عليهــا من خلال الصحفي نفسه ، نعيا احيانا ونضحك او نسخر احيانا اخرى ، وكاننا نحن هذا الصحفي المرافق للاجواء كلها والعائش في خضمها .

ان الفيلم كان زاخرا بكل ما يكمــل الصورة عن الحياة الحلوة التي يحياها هؤلاء .

وهكذا اضطر فيللني امام هذا المركــب الصعب ــ كما قلت ــ ان يعالج الموضوع الشائك بصعوبــة ، كان الجهد الكبير والاعياء كذلك ظاهرين في اكثر اجزاء الفيلم .

صحيح ان المشاركة بين اجواء الفيلم وبين المشاهدين يجب ان تظل متصلة وغير مفقودة ولكنها لا يمكن ان تكون سببا في اتعاب المشاهد الذي قد يضطر بالفعل الى الانعزال

عن اجواء الفيلم او يعجز حتى عن تتبع أجزاء كثيرة فيه ، سيما وان الفيلم يستغرق وقتا طويلا . ومع ذلك فان جهد فيللني وجراته واستيعابه للموضوع الذي قدمه ، وقدرته وكفاءته السينمائية في اكساب الفيلم حياة حافلة ظلت تعيش كل مشهد وكل لقطة ، في تعبير سينمائي متقن قد جعل من فيلم دولشه فيتا عملا سينمائيا كبيرا .

وقدم فيللني — بعكس دولشه فيتا — الذي استغرق قرابة الثلاث ساعات ، فيلما قصيرا لا يتجاوز الخمسين دقيقة ، واعتبره فيللني « نصف » فيلم .. وهو الجزء الاول من ثلاثة اجزاء في فيلم « بوكاشيو ٧٠ » .

الجزء الاول من فيلم بوكاشيو ٧٠

كان هذا الفيلم اكثر بساطة من سابقه ، لكنه كان اشد سخرية منه . واعتقد ان الحملة التي قامت ضد فيللني عن فيلمه دولشه فيتا وتحامل رجال الكنيسة عليه ، والمتزمتون الذين نعتوه بشتى النعوت ، كل هذه الاسباب دعت فيللني — كما اعتقد — الى اخراج هذا الجزء من الفيلم الذي تضمن نقدا صريحا وبليغا لآراء البعض ممن لا يريدون ان يجاروا روح العصر ، ويظلون تحت طائلة عقد مرضية يعانون منها الشيء الكثير .

ان فيللني في هـــذا الفيلم القصير لم يتعبنا كثيرا ، لسببين : الاول أن السخرية التي رافقت الفيلم كانت مثيرة للضحك مما خفف عنا ، عناء تتبع كل جزء في الفيلم . ففيللني لم يترك لقطة ألا وضمنها تعبيرا عن فكرة ما .

الثاني : ان فيللني قد وفق في خلـق الاجواء الثقيلة المتعبة ، التي كان يعيش فيها البطل واصدقاؤه . كنا نحن نحس بثقل تلك الاجواء بل كنا نحس بمعاناة الشخصيات المعقدة في القصة ، كالفتاة التي اظهرها فيللني بلون ازرق وهي تحلم احلاما مزعجة وعرقها يتصبب بغزارة ، ووجهها جامد ميت . وحتى تصرفات بعض شخصيات الفيلم كانت هي الاخرى تثير فينا التعب ، والعناء ، فمدير الشرطة ، الرجل الطويل القامة ، كان يتحدث وهو يمط باذنه مرات ومرات ، ويدعك انفه برتابة وملل .. هذه الشخصيـات كانت تعاني امرا غير طبيعي ، وكانـت تعكس لنا متاعبهـا فنتحسسـها ، الا انها لم تكن من الكثرة بحيث تتعبنا كثيرا بل ضاعــت في خضم الاحــداث الضاحكة التــي امتلأ بهـا الفيلم .

٨ ونصف

بعد هذه الافلام والافلام الاخرى التي اخرجها فيللني يقول : « انه يجمع في فيلم ٨ ونصف خلاصة تجاربه الفنية واكتشافاته ودراساته التكنيكية من مجموع افلامه الماضية » ولهذا السبب اعطى فيللني رقم ٨ ونصف لفيلمه الاخير .

الفيلم يبدو لاول وهلة وعند الحديث عنـه ، انه عرض لمعاناة مخرج شاب يبحث عـن مخطـط وموضوع لفيلمه الجديد ! ولكن الامر يتجاوز هذا الايجاز المضغوط جدا ، وينتقل الى العديد من الاحداث في حياة هذا المخرج ، والى افكاره وارائه في أكثر من موضوع ، فتتداعى الافكار بتعبير سينمائي ، وتمتزج بواقع المخرج وحاضره ، ثم تبتعد من جديد لتدخل الى ابعاد اخرى الى طفولته اللاهية والناس الذين كانوا يحيطون به وأثر كل منهم في نفسه ، كل هذا التداعي ، والازمة مع هذا قائمة ، والقلق والاعياء ، والحيرة ، والمشاكل الذاتية لا يفارق اثرها ذهن المخرج وتفكيره .

ان الفيلم مزيج عجيب لاكثر من موضوع وان كان يبدو لاول وهلة ، موضوعا ضيقا . هو في الاساس تعبير عن مشكلة قد يعانيها فيللني نفسه ، هي مشكلة البحث عـن الاسلوب الجديد للمضمون الجديد .

لقد استطاع فيللني ان يوفق بين الافكار المختلفة التي كانت تتداعى — كما قلت — وبـين مشاعـر آنيـة اخرى واحداث وافكار جديدة ، تمتـزج مع هـذه وتلك ، وبين التوفيق بين معاناته هو .. ورغبات منتـج الفيلم وكاتب الحوار .. والآخرين . الكل يطالبه بتوضيح عن حالته ، عن دوره عن مصيره ، والمخرج يستمع اليهم تارة ، ويتهرب منهم تارة اخرى ، لكن الواقع يظل يضنيه ويبعده من جديد الى ايام طفولته ليعود وهو يحمل شيئا جديدا ايضا يربطه بحاضره . ويفكر من جديد بالمستقبل كيـف يبدأ ! ويقع بازمة جديدة ودوامة جديدة .. ويظل هكذا والصـور السينمائية المتقنة تتوالى وتمتـزج ، والتقطيع السريع ، والحوار الذي لا ينقطع في كل لقطة وعن اكثر من موضوع ، والمخرج ضائع حائر ، والمعاناة تتجدد وتتأزم حتى آخر لحظـــة !

لقد كان فيلم ٨ ونصف اشبه بتركيب كثيف لاكثر من مادة ، لا يمكن للمرء ان يجد بين مادة واخرى اي فراغ او فاصل ، أو حتى ثغرة بسيطة تعزله عن جزء منه . وهذا التركيب وان قال عنه فيللني انه خلاصة تجاربه في افلامه السابقة ، فان ملامح دولشه فيتا اكثر اثر فيه .

لقد تحققت المشاركة الشعورية والفكريـة الحادة في الفيلم اكثر من اي فيلم آخر ولكن بشيء مـن الارهاق . لقد كانت معاناة وتفكير ومشاعر المخـرج هـي ذاتها التي تنعكس علينا . فتتعبنا مثلما أتعبته . ومثلما استطاع في دولشه فيتا جمع ذلك العدد الضخم من الشخصيات وابراز كل شخصية بقدر ما تستحقه من اهتمام وعنايـة ، فقد استطاع في ٨ ونصف ، ان يبرز بعناية فائقة كل شخصية ودورها واثرها في كل مشهد ولقطة ظهرت فيها .

ان فيللني — كما اعتقد — قد استطاع في ٨ ونصف ان يقدم عملا سينمائيا ، جديدا لا في الموضوع وحسب ، بل في الاسلوب والتكنيك السينمائي .. وهو جهد يستحق التقدير والمناقشة الطويلة ، ليكون خطوة جديدة تضاف الى خطوات اخرى خطاها هو وغيره مـن رواد السينمـا الحديثة ، والتي ستؤدي كلها الى حيز الوسائل وانجحها في تطوير وتقدم الفن السينمائي .

يوسف العاني

رأيت أمي تستوي جالسة في الفراش وتصيح بصوتها المحموم :

هيا تعالي . انت ناعسة . ضعي راسك هنا على ركبتي . ساغني لك حتى تنامي .

قلت لها بلهجة مرحة :

لكني لا ارغب بالنوم . الساعة السادسة مساء ، الساعة السادسة مساء لا اكثر .

نظرت الي شزرا وصاحت : قلت لك . ضعي راسك هنا على ركبتي . انت ناعسة

ابعدت هاني ، صغيري ، الى الغرفة المجاورة ثم اقتربت من سرير امي فابتسمت لي . جلست الى قربها فامسكت راسي وبلطف امالته الى صدرها الضعيف الهزيل ، وسمعت صوتها ينشد اغنية السنين البعيدة ، القديمة ، سني طفولتي . ورايت والدي ينظر الينا بحنان ، ثم يجلس على ذلك المقعد ، انه يدخن لفافة تبغ جيد ، ليرات ذهبية تتساقط من يده . الخدم يملأون الدار . في كل لحظة يفتح الباب ، اصحاب يتوافدون . وجوههم تطفح بشرا ، متهللة . ابي يبتسم لهم ، لنا . لم ار رجلا اجمل منه . وصمتت والدتي فجأة ، فعاد ابي صورة معلقة على جدار وغمرتني موجة من الكآبة .

* * *

انا هيام صادق ، تلك المرأة المسرعة في الشارع المعتم . اني اعود الآن من عملي . لم يبق علي الا ان اجتاز هذا الشارع ثم ذلك المنعطف الضيق ثم اتسلق درجات السلم الطويل لاصل الى الطابق الخامس . ابني ينام الان ، امي تذهب من المطبخ الى حجرة الجلوس الى غرفة نوم هاني ، لتعود من جديد الى المطبخ فحجرة الجلوس ففرفة هاني . انها تدور في البيت دون انقطاع . في كل ليلة اوجه اليها تعنيفا وفي كل ليلة تلوذ بالصمت . انها لا تغفر لنفسها دقيقة راحة . انها لا تحتمل فكرة عملي المتواصل خارج البيت .

اني أعمل معاملة ، لا أعوذ الا وقد بح صوتي وكلت قدماي ، لا اعود الا ورغبة في النوم تطوقني . ان انام وانام ولا استيقظ ابدا .

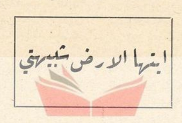
* * *

من ايام فتحت عيني باكرا فوجدت هاني ينظر الي باسما ، ابتسمت له وقبل ان اغمض عيني من جديد ، سمعته يقول : انت حلوة . امي الحلوة . انت حلوة ، حلوة .

اصابتني الدهشة ثم اقبلت عليه اقبله وقلت لنفسي ضاحكة : رجلي في الثالثة من العمر .

* * *

صحبه ابوه من ايام في نزهة ،



بقلم الانسة رينه عبودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما عاد به الى امي قال لها :

ـ هذا الصبي كامه . احترزي ما قاله لي ؟

قالت امي : من اين لي أن اعلم؟

قال : لقد استوقفني قرب ماسح احذية يمكنك ان تمسح عنده حذاءك

فابتسمت امي . فصاح زوجي وهو يهرول مبتعدا على الدرج :

ـ كأمه ، كأمه .

* * *

ان هاني يخشى الابتعاد عن المنزل ويبدو على وجهه الصغير الخوف حين يظهر والده في الشارع ليأخذه من يد والدتي .

لكم يسألني معارفي اذ يبدون



اهتمامهم بي : ما سبب اختلافك مع زوجك ؟

ان يتدخل كل فرد بشؤوني الخاصة امر لا ارغب فيه ولكني كثيرا ما انزل عند طلبهم فاحدثهم بقصتي

يجب أن ابرر لهم تصرفي : ان زوجي يا سادتي يهوى ، يهوى القمار . ولما كان راتبه لا يتجاوز المئة والخمسين ليرة فقط لا غير ولما كان علي ان اعمل بدوري ولما كان لدينا طفل لا يمكن ان ندعه جائعا وعريانا وبدون سقف يبعد عنه المطر في الشتاء والشمس في الصيف ولكل هذه الاسباب انفصلت عنه . هوايته المحببة تريد ان تفترسنا مثل ما افترسته . اني اشفق على زوجي ولكن لم يعد لي حيلة معه . كل الطرق حاولتها لانتشاله من ضعفه واخيرا لم يكن علي الا ان أسلك هذه الطريق فانقذ ما تبقى .

* * *

لقد دعتني قريبة لي من ايام لمشاهدة فيلم سينمائي . الحت علي والدتي بالذهاب . انها تريد ان ارفه من حين الى اخر عن نفسي . فقبلت الدعوة .

كان الفيلم حياة اناس سعداء يمرحون في الوان زاهية حقا . الحب الجمال . الاناقة . السيارات .

كنت اتجالد كي لا انفجر في البكاء وانا اسير في الشارع عائدة . تمالكت نفسي بجهد وكنت اشد على شفتي . وحين دخلت البيت لم انظر في عيني امي ، تشاغلت بخلع المعطف ، برفع الحقيبة ، بالدخول اخيرا الى غرفتي . وهناك في الظلام استلقيت على سريري وانتظرت العبرات . لم يدم انتظاري لحظات ، سالت بهدوء اول الامر على خدي ثم هطلت بقوة ثم ... اضيء النور في الغرفة ودون ان التفت شعرت بامي تقف قرب السرير .

قالت : ما بك ؟

قلت : لا شيء

قالت : هيا . هيا انهضي .

مستقبل الانسان

تتزاحم الافكار وهي كثار — وتهيجنا الآمال وهي كبار
عند التأمل في غد وغيوبه — تغشى النفوس مهابة ووقار
يقف الورى مستشرفين لعالم — فيه التسامح للتفاهم جار
والعدل اضفى بردة من نسجه — والعنف ولى واستلان نفار
تهفو القلوب لعالم رغد به — كأس الهناء على الجميع تدار

* * *

مستقبل الانسان من يدري به ! — هذا ستار خلفه اسرار
لكن في الافق السني بوارقا — لا بد تشرق بعدها الانوار
فالعلم ينبت كل خير يرتجى — والعقل يرشد والظلام ينار
تغدو الصحارى خصبة فكأنها ال — جنات تجري تحتها الانهار
يتنقل الانسان لا يشكو نوى — كل البلاد مواطن وديار
تغزو الفضاء كواكب من ارضنا — وبه تدور وتسبح الاقمار
تتفجر الطاقات من ذراتها — فكأنها في دفقها الاعصار
خشي الورى تخريبها ودمارها — فاذا بها للعالمين عمار

* * *

عجبا لقوم والبشائر جمة — ولهم مع البشرى غد نوار
حسبوا التقدم في العلوم مصيره — أن المعاني بيننا تنهار
فالشعر لا قلب يعيه مصفقا — والحب عود ما به اوتار
من كان يشكو من عماه فانما — تعمى القلوب وليست الابصار
تلك المعاني لن تزول وعندنا — قلب يجيش وخاطر فوار
تبقى وترقى ثم ينقى صلبها — وكذا الحياة فانها اطوار
تتساقط الاغلال عن اعناقنا — ويزول عنا الجهل وهو اسار
ويزول عنا الفقر لا رجعى له — فتزاح عن وجه الصفا الاستار

* * *

مستقبل الانسان يا مرحا له — زهر النجوم اذا رأته تغار

لندن — **فؤاد جبور حداد**

من « العروة الوثقى »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت : لحظة والحق بك

قالت : لماذا تبكين ؟

فلم اجب

قالت : الفيلم كان حزينا

قلت : اجل الفيلم كان حزينا

قالت : لم يكن عليها ان تدعوك الى مشاهدة فيلم حزين . هيا هيا انهضي واغسلي وجهك . لا يجوز ان تنامي ومعدتك فارغة .

قلت : سالحق بك.

قالت : سيستيقظ هاني . لقد كان يسأل عنك اليوم كثيرا .

ابتسمت فجأة ونظرت الى سريره.

ابتسمت امي مشجعة ثم ادارت لي ظهرها ومضت الى المطبخ .

انها تزداد ضعفا يوما بعد يوم. انها لا تزور طبيبا مهما الححت عليها بذلك . لا يجدر بي ان اشفق على نفسي . نهضت من على السرير وسرت الى مفتاح النور اديره.هاني ينام ويده قرب خده ، قبلته في الظلام ثم توجهت الى المطبخ .

حلب — **رينه عبودي**

جورج لانس
شاعر من بلجيكا

بقلم سعد صائب

كم ما تساءلت وانا اقرأ الادب البلجيكي (١)، قديمه وحديثه، عن سبب اعراضنا المتمادي عنه ؟ وفيم لا يتصفحه ادباؤنا ويخبرون دخيلته، ويبحثون عن خافي جماله، كشأنهم مع غيره من آداب الامم شرقية او غربية، وهم الذين ما انفكوا يكنفونها بظلهم، ويفيضون بالترجمة عنها حتى اختلط عليها غثها بثمينها ؟.. اترى يبلغ ادبنا المعاصر اربه ان اقتصر على الاخذ من منبع واحد او منبعين ؟ وهل في مقدوره النهوض والتسامي ان اعتراه فتور او كلال، وعجز عن البحث عما يغذيه ويجدده ليغدو جديرا بالاعجاب، قمينا بالاقتداء اهلا للنقل عنه والفخر به ؟. ينبغي علينا اذن ان تكون نوافذنا مفتوحة لاداب الامم جميعها، شريطة ان نختار الاصلح منها والانفع، بذلك يستعلي ادبنا فيحلو ويعمق ويعذب، وبذلك تكتمل اداته وتغزر مادته، وتتعدد فنونه ونبلغ حاجتنا منه.

الادب البلجيكي بين الامس واليوم: مثلما يتحدثون في بلجيكا بلغتين (٢)، كذلك ينشئون ادبين، ادبا فرنسيا – ان جاز التعبير – وادبا فلمنديا. وليس بخاف ان النتاج الادبي البلجيكي في اللغة الفرنسية عريق في القدم، اذ ان الشعر القصير ذاته كان – في الواقع – اقدم بناء شعري في اللغة الفرنسية، رأى النور في المقاطعات الوالونية التابعة لبلجيكا. ومعلوم ان اللغة الفرنسية ما برحت منذ القرن الثاني عشر، لغة الطبقة المثقفة في مقاطعة الفلاندر اذ كانت قصور الامراء واشباههم – في العصر الوسيط – المراكز الحقيقية للادب الفرنسي، فكم من ادباء ساعدوا على صياغة النثر الفرنسي، وكان لهم فضل لا يجحد بواهم مكانا مرموقا فيه. وفي ختام القرن الخامس عشر حظي الشاعر « جان لومير دوبلج » بشهرة ادبية واسعة لا في بلجيكا وحدها فحسب، بل وفي اوروبا كذلك، اذ كان بحق رائد الشاعر الفرنسي « كليمان مارو » الذي اتسم شعره بضرب من المسامرات السائغة. وفي القرن السادس عشر دارت احاديث ومساجلات بعثت النشاط الادبي في بلجيكا. بيد اننا نلحظ ان ثمة ركودا حقيقيا عم بلدان الاراضي المنخفضة الكاثوليكية – خلال القرن السابع عشر – لم تستطع الافلات منه الا قبيل نهاية القرن الثامن عشر اذ لم يبرز خلال هذه الحقبة الطويلة اي اديب او شاعر مرموق.. وحين تم الاستقلال السياسي عام ١٨٣٠ لم يعن في بداية الامر بالنهوض بالادب، بل لم يعبأ به، اذ لم يكن من الممكن ترقب بزوغ نهضة في تلك الحقبة،

•

سعد صائب



لذلك لم نر للحركة الادبية اي نشاط ملموس الا حوالي عام ١٨٨٠ اثر ظهور مجلة « بلجيكا الفتاة » التي كان لها اعظم الاثر في تشجيع الادباء وحفزهم للانتاج، مما ادى الى ظهور مدرسة ادبية عرفت باسمها حمل لواءها قصاصون وشعراء، خضعوا بعنف لتأثير « بودلير » والشعراء البرناسيين الفرنسيين.

ولا بد لنا من ان نضيف الى هذه المدرسة ذاتها – خلال تلك الحقبة – الكاتب « موريس ماترلنك » والشاعر « اميل فيرهارن » ولعل مجد «ماترلنك» كمجد الشاعر «فيرهارن» لم يتمهلا في تخطي الحدود البلجيكية بل عبراها مسرعين خارج هذه الحدود.

وليس من شك في ان الادب البلجيكي في اللغة الفرنسية لم ينقطع منذ عصر الرمزية عن النماء، بل ظل في قرن واحد مع الادب الفرنسي، حتى بدا وكأنه فرع من فروعه، ولئن تراوحت مميزاته بين الصعود حينا والهبوط احيانا. الا انه امتاز بخير الصفات التي عرف بها الادب الفرنسي بوجه عام « وهي دقة التعبير وسلاسته ووضوحه واشراقه مع رشاقة اللمسات والتزام الاعتدال ومجافاة الغلو والاسراف » .

تلك هي المراحل التي مر بها الادب البلجيكي والوجوه الادبية النيرة التي جهدت في دعمه بمواهبها وعطائها الخصب منذ ظهوره الى الوجود حتى عصرنا الحاضر.. وهي التي فرضت وجودها على الادب الفرنسي ذاته. وهي التي دفعت مؤرخيه على اكبارها وعدم اغفالها عند تأريخهم لادبهم وتخصيص مقام لها فيه بخاصة الشعراء الذين كتبوا باللغة الفرنسية

---

(١) من كتاب « شعراء معاصرون من العالم » المعد للطبع – (٢) معجم القرن العشرين – (٣) نصف قرن من الشعر بالفرنسية – منشورات اليونسكو –

وواصلوا بعد سنة ١٩٠٠ الاندفاع الرمزي الكبير في بلجيكا .

وثمة وجه الف الغرب النظر اليه ، والاعجاب به ، بعد ان شاقه سحر غنائه ، وراقته عذوبة النغم الذي صدح بـه ، اذ لامس الافئدة التي آدها عبء الالة ، وحرك النفوس التي ملت سماع ضجيجها فبعث شجاها على مصير الانسان ، وتوقها الملح الى نشدان الطمأنينة والهدوء ، كيما يعيد الغرب ما افتقده من قيم ، ويؤكد رسالته في المحبة والاخاء .

ولست اشك في ان الشاعر « جورج لانس » هو هذا الوجه النير الذي تألق لا في سماء الادب البلجيكي فحسب ، بل في العالم الغربي كذلك ، بما عرف عنه من اخلاص لموهبته ، وتفان في نشر دعوته ، وخصب في عطائه الشعري .

قيل ان الشاعر « جورج لانس » (٣) ولد في مدينة « لييج » في شهر اذار من عام ١٩٠٠ وان اسمه اقترن بشكل وثيق بظهور الشعر الحديث في بلجيكا ، وانه في اعتناقه « المدرسة المستقبلية » ودعوته لها ، بشبه خدينه الشاعر « موكل » في اعتناقه الرمزية والدعوة لها .. ومن واجبنا ان نعيد النظر في كل ما يتصل بتطورات هذا الشاعر الذهنية التي تخيلها عن السعادة والبؤس ، وعن الحب والمجد والجمال وان كنا نلحظ ان ثمة عالما يموت وعالما يولد لدى هذا الشاعر ، ومع هذين العالمين تولد قصيدة تبدو بواكيرها وكأنها نبوءة من النبوءات التي تراود ذهنه ، كما نلحظ كذلك انه جعل من نفسه معلما وهاديا ، اذ امضى زهاء عشرين عاما يناضل من اجل الاداء الحديث في الفنون كافة .

ان « لانس » على حد تعبير احد النقاد الغربيين يشعر بعنف ، ان واجب الشاعر الحتم هو واجب الحضور المنفتح على العالم ، وواجب الاصغاء كذلك ، وهو في مجموعاته « الروح المزدوجة » و « خطر الموت » و « سر اوروبا » و « قصيدة معجزة وجودنا » و « قصيدة المدينة التي تحلق فوقها الاحلام » يشعر فيما وراء الوان الحياة البهيجة بشيء من الوقار الذي يدع القارىء واعيا فجاة خطورة مصيره .. انه لم يتوان قط عن التأمل في فنون عصره ، مع علمه « بوجود طلاء فوسفوري غريب يغطي احقر الاشياء ، فكأن الشعر لم يكن لديه سوى ما للاشياء المألوفة من صفات خارقة » .

وحسبه انه يحتل اليوم مكانا مرموقا في الادب البلجيكي ، بل مكانا منفردا لم يجاره فيه شاعر معاصر ولقد اصدر العديد من الكتب والبحوث كما نشر دواوين شعرية تعبر اصدق تعبير عن مذهبه الشعري ضمنها نظرته الى عصره ، واودع فيها خشيته من انهيار القيم الانسانية التي كان لعالم يؤمن بها ، فأتت الآلة تضع كل ثقلها عليها لتحطيمها ، مما جعل الانسان الغربي حائرا مغلوبا على امره .

اليكم نماذج من شعره اخترتها من بعض دواوينه ، تمثل مذهبه ، وتدل على اتجاهه الشعري الذي آمن به ، ودعا اليه ، وناضل من اجله ، فاستطاع بما له من مكانة مرموقة في الادب البلجيكي ، وبما منح من موهبة شاعرية فذة ان يحوز رضا النقاد ، ويحظى بأكبر حظوة لدى متذوقي الشعر في العالم ..

يقول في قصيدة « المستقبل والضحك » :

بشيء من الفة
نراهم يمضون متجهين
صوب الميادين المقدرة لهم
صوب المدن وتماثيل المستقبل
ان يكتنفهم شجر
فذلك شيء رائع حقا
وليس من شك
في اننا نربح مرارا
بهذه اللعبة الدقيقة التنظيم
اذ لا شيء يقف حائلا
دون مسرى هذه الاجرام المتحركة المحكم
فلا حديقتنا
ولا نظراتنا
ولا ما عز علينا من مال
وما ذخرناه
من نفائس وتذكارات
ومن اياد صديقة ، ومن بسمات
لا شيء يقف حائلا دون مسراها
الا ان هذه القطع من الاساطيل
ومن مدن حديثة
ومن شجر وتماثيل
هذه الجحافل الجرارة من المحركات المتقنة الصنع
تحرر الغافين ، وتعتق الغافلين
تحررهم وتعتقهم من ربقة القلق الذي تثيره احلام قديمة

ثمة مدن
ثمة شجر وتماثيل
ثمة حيوانات آلية
هي عندهم اجمل من العيون وابهى
اما انت فما ان تدن دنوك الاكيد
حتى يضج الاطفال بالضحك سعداء هانئين
وان ضحكهم
هذا الضحك ذاته
هو الضجة الاشد غرابة
التي دوت في ارجاء الكون ..

ويقول في قصيدة « اللامتناهي القريب »
الظل
النور
النار
الماء
الحجر
بعض عيون
بعض اجساد
تلك كل قصيدة الارض

يقولون : اممكن هذا ؟
أني لارى الى زاوية الكون
بنجومها القصية
وهي تجلو كروية الثمار

يقولون: اممكن هذا؟
ان تغدو مشاهدها
مغلقة بين ذراعي:
سفوح اودية
تراخي جليد
ضحك غابات
تتجلى كلها امام بهرة البحار؟

ماذا عساني ان اعرف في غير هذا المكان؟
غير وجوه العالم
وقد تكدست من حولي
وكأنها ذخر غريب
تكدست بازاهيرها
التي تستساغها البهم.
تكدست باجنحتها
بمدنها
بضحكاتها
تكدست بآلاتها، وحتى ببعض بنادقها
التي شدت الى موتها الحديدي؟

يقولون: اممكن هذا؟
ان تغدو خفايا الكون واسراره كلها
احيانا
قطيع رعب
يكتنف اطفالا صفارا رائعي القسمات
ينمون مع الزمن وكأنهم فجر يطلع

ارجو ان اكون قد وفقت بعرضي الوجيز لمجمل الادب البلجيكي قديمه وحديثه، وان اكون قد نبهت الاذهان الى ما فيه من الوان وقيم جمالية، ومن تجارب خصبة اسهمت كلها في الادب الغربي وغدت القوة المكيفة له، والطاقة الفعالة لديه. ولا ريب في ان ادبنا سيغتني ويخصب ان نحن التفتنا الى هذا الادب واوليناه بعض ما نولي سواه من عناية واهتمام، لا سيما ونحن مقبلون على تثبيت دعائم نهضة ادبية عربية حديثة تتطلب منا جهدا في البناء، لا يقل خطورة عما نبذله من جهود في سبيل تقدمنا ورقينا...

دمشق سعد صائب

عالم بلا غد

●

ودعت امسك وانطلقت بلا غد
وحملت ـ دون سواي ـ عبء تمردي
وطويت امسي
وتركت نفسي
تضحي وراء رماد ماضيها وتمسي
وبنيت رمسي
وضربتها كأسا بكأس
وشربتها حتى الثمالة
نخب الضلاله
نخب انطفائي
وضياع كل حقيقة بين ابتدائي وانتهائي

وتركت افكاري ورائي
وظننت اني
حررت نفسي
فوجدتها تمشي ازائي
وتغوص بي، تهوي الى ما لا قرار
والليل ـ دوني ـ
شاشة تروي وتعرض لي حياتي
وتضيء لي اسرار ذاتي
من سقطتي حتى انفلاتي
وهنا، وثم جنائز ورؤى وكاس
ودخان ماض
وضمير صمت في انبساط وانقباض

يا انت
يا انا
يا صدى صوتي وظلي
يا انت
يا هو .. يا انا
يا منتهى شبهي وشكلي
حتام تمضي مثلما امضي كانا خلف بعض
هل انت مثلي ضائع تقفو خطى قدر بتيه
قلبي قطعت نياطه ومضغته وبصقت فيه
ورميته نحو الكلاب
ومشيت ـ دون سواي ـ
احمل ما تبقى من عذاب
ومضيت اهرب دون فكره
كانت حياتي كلها اسفا وحسره

بغداد صفاء الحيدري

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

كان هناك شيء اقوى من الصمت بكثير يلف وجوده ووحدته وارقه .

الفراش اللين يطرده ، والهدوء الساكن يخاله صخبا وعنفا مرعبا ، والجو .. كل الجو المحيط به يظنه يريد ان يبتلعه ولا يبقى له اثرا من بعد .

ويسمع من بعيد عجلات القطار تتحرك ..

ويمتد امام المارد الاسود قضيبان يبتعدان ويبتعدان الى ان يصلا الى منطقة لم تطأ ارضها قدم انسان .

وتبدا الرحلة ...

القطار يسير ببطء .. والعجلات تطوي طريقا مظلمة .. ثم تأخذ السرعة كل شيء فتلف الوجود كله بصمت .. هو صمت السرعة يأكل كل شيء ولا يترك حتى صورة مهزوزة مطموسة المعالم .

كانت تجلس مبتسمة على اريكة طويلة في احدى المقصورات ـ هكذا تخيلها ـ وكان زوجها يجلس الى جانبها وفي راسه الف خاطر ..

ويتيه في تصوراته مع عجلات القطار وهي تعانق القضيبين النهمين ابدا للمسير .

ثم يأتي في منتصف الرحلةالسؤال الازلي منطلقا من اعماق الزوجة المبتسمة :

ـ ماذا في الامر .. اهناك ما يشغلك .؟

وود الزوج لو استطاع ان يقول كلمة .. اية كلمة ، وماست الاحرف على شفتيه . وكادت الكلمة ان تقال .. ولكنه توقف . ثم عاد ونظر اليها طويلا ..

كان شتاء قاسيا مرا ، وكانت الامطار محبوسة في عين السماء .. والافق البعيد لا يني يبعث بين آن وآخر دفقة جديدة من البرق والرعد تنذر بشيء كان في عالم المجهول .

ودخلت على الزوج اخته الكبرى ، وعلى شفتيها اكبر ابتسامة في اجمل لحظة ، وقالت له بغبطة مشرقة :

ـ ابشر فقد جاءك طفل ..

وهكذا كانت ولادته .

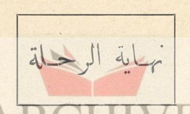
وتوقف القطار عن المسير . وانهطلت الامطار المحبوسة في عين السماء . وانكشف عالم المجهول امام عينيه .

وفجأة ـ وجد نفسه انسانا شابا يعانق الوجود وجها لوجه . ويحاول، وهو القزم الصغير ، ان يتحدى البرق والرعد ولا يعترف بهما .. الا انه في كل لحظة كان يتحداه شيء اكبر من ذلك ، اكبر من وجوده . شيء اسمه النقص .. فهو في نظر اقرب الناس اليه قزم صغير يحتاج الى عناية .

* * *

ارتدى ثيابه ، وقد ضاقت به الدنيا .. وخرج الى الشارع .

لم تكن لديه وجهة معينة ، ولا



بقلم عدنان الداعوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكان مقصود .. بل كل ما اراده ان يتمشى قليلا علّه يجد بين زحمةالناس ما ينسيه بعض قلقه وخوفه .

في الطريق شاب اسمر الوجه يحيط زند حسنائه بوله مجنون ، يخاف ان يفلت ذراعها فتطير الى عالمها البعيد . والحسناء تبتسم . تبتسم الى كل من يصادفها في طريقها .. ومر بجانبهما . وابتسمت الحسناء .. وظن انها تبتسم له، ولم يدر انها كانت دائمة الابتسام تعانق عيناها كل مخلوق في الطريق وتود لو تنطلق فهي سجينة قفص ذهبي ثمين .



وتركهما خلفه، وظل يعد الخطوات الباقية له حتى يصل ... وفجأة سمع بوق سيارة معربدة .. واصوات عجلاتها تتسمر فوق الاسفلت الاسود . والتفت ..

كان الجمع غفيرا .. وثرثرات الناس تتضارب مع بعضها لا تفسر شيئا من الموقف . وهرع الى حيث تجمع الناس .. الشاب الاسمر يقف كالتمثال فوق جثة حسنائه ، التي حطمتها السيارة المعربدة ، واصوات الجمع تردد :

ـ كانا يحاولان عبور الشارع ...

ترك الجمع الصاخب وراءه واستأنف المسير ، وقبل ان يجد في السير ، اطلق عبارته :

ـ لقد انطلق الطير الحبيس من القفص الذهبي الثمين وطار .

ابتدات بعض الغشاوات تطمس معالم طريقه .. وصارت صور الناس تتحرك امامه كالدمى الخشبيةتحركها يد ماهرة عبقرية . والالوان لم يعد يستطيع تحديدها لسرعة تسابقها .

وصار يسمع من بعيد صوتامخنوق الصدى يرجع اليه حاملا بين اجوائه صراخا وعويلا مرعبا .

* * *

الجميع في البيت يبكي . ماتت امه. وما زال ابوه شابا ينشد مستقبلا مشرقا باسما بين يديها .

انطلقت هي الاخرى من قفصها الذهبي تبحث عن عالمها البعيد . عن خلودها . ولم يستطع هو ان يبكي بعدما راى اباه صامتا وكأنه تحجر اثر الصدمة الهائلة ..

وفي العمارة امراة تصرخ وتبكي وتملأ الحي عويلا .. ويأتي وليدها ، ويبصر الحياة .. وتتبدل الدموع . دموع الالم ، الى دموع الفرحة . فقد جاء ولي العهد .. وتدور صحون الحلاوى .. وترتفع الزغاريد .

ويحار ابوه . ايصدق صراخ الحزن من اعماقه ام يسمع صوت الفرحة تملأ كل الحي .؟

وتلك احدى العجائب التي وقف امامها دون ان يدرك حلا لها . وتبتعد الايام ...

والقطار المارد الجبار يسير في رحلة الحياة . وفجأة يقف القطار ، وتهمد حركته ، فقد اشرف القضيبان النهمان على النهاية .. نهاية كل شيء .

ومات ابوه ايضا في احدى الغارات الجوية . وحين افاق بعد مدة ووعى الصدمة العنيفة ظن ان العالم كله قد انتهى .. الا ان نواقيس الكنائس كانت ترن رنينا هائلا .. وقد شرعت الصلبان اللامعة تتحدى الموت وتنشد السلام .

وانغرست اقدامه في تربة الارض السخية ، ووجد نفسه أنه لن يستطيع مغادرة الحياة بسهولة هكذا . . فقطاره الصغير ما يزال امامه طريقا طويلة طويلة .

ـ مساء الخير يا حلو ...

ايقظته التحية الخرساء من ثباته اليقظ .. وابتدات الالوان تتوضح في ناظريه ، واخذت الخيوط الآدمية ترسم معالم جديدة من عالمه ذاك .

وكانت « رنده » تبتسم .

ـ مساء النور يا رنده .

قالها بلا وعي منه ، واحس بجفاف سميك في حلقه والتفت وواجهها تماما .

كانت ما تزال تبتسم ، ولا يدري لماذا تذكر الفتاة التي تحطمت تحت عجلات السيارة قبل قليل .. تلك كانت تبتسم ايضا . وايقظته «رنده» من ذهوله الجديد ، وقالت له :

ـ اعائد انت الى المنزل ..؟ تعال لنخرج معا .. فقد كنت في السوق اشتري ...

ولم يسمع بقية حديثها فقد تذكر فجأة القضيبين النهمين وقد انقطعا امام المارد الاسود .. واخذ القطار يتدحرج في الطريق ، ويلفظ الجثث من نوافذه .

ومد يده وناولها المفتاح :

ـ اسبقيني انت الى المنزل وسألحق بك بعد لحظات .

وغنجت صارخة الانوثة وهي تهمس :

ـ ولكن لا تتاخر .

* * *

ونامت «رنده» فوق زنده وحلمت طويلا ، وطافت بها خيالاتها نحو آمالها المسرعة اللاهثة .

ـ عناقك العنيد يؤذيني يا رنده .. خففي قليلا من حدتك .

وضجت بالضحك وقفزت من جانبه .. وتعرت قليلا ثم عادت واستلقت فوق زنده مرة اخرى وقالت :



عدنـان الداعوق

ـ ثق ان حواء كانت في منتهى نعومتها وهي عارية ، وحين لبست ثوبها الانثوي صارت ضارية متوحشة . الست تريدني هكذا .. او هكذا .. او هكذا .؟ وانغلق باب الجنة ... وازهر التفاح .. ولكن الشيطان هذه المرة كان ثملا من شدة النشوة ومرتاحا من كل شيء .

ساعة المدينة النائمة تدق دقة واحدة بعد ان انتصف الليل ..

وتململ في سريره ، وكانت عشيقته نائمة في هدوء قربه .. وانفاسها تعانق انفاسه وابتسامتها المرسومة بدقة الهية فوق شفتيها ما زالت تذكره بالفتاة التي شاهدها وهي تموت تحت عجلات السيارة .

وابتدات من جديد تزول كل معالم الالوان والاشكال حوله . واحس ان كل شيء قد اخذ يتحلل في صورة هيولية سابحة .. حتى « رنده » تمددت معالمها الصارخة بجانبه ، ولم يعد يرى فيها سوى ابتسامة تتعلق كظل ابتسامة لوحة فوق احد جدران معبد متهدم عتيق .

لحظات عنيفة تمر .. وساعة المدينة تدق دقا متواصلا متلاحقا كأنها تسابق الزمن وتستعجل الحياة .

وابتدا يجد نفسه رويدا وقد وعى كل شيء حوله .. القطار يسير بسرعة خاطفة .. والقضيبان النهمان امتدا طويلا وبعيدا في ارض بوار لم تطأها قدم انسان .

وامه تجلس فوق اريكة عريضة مبتسمة ، في احدى المقصورات .. وابوه في صمته المطبق ينظر اليها بوله مجنون . وتقتحم الام صمت زوجها وتسأله :

ـ وماذا عن ابننا الوحيد ..؟

ويبتسم الاب بعنفوان هذه المرة ، ويقول لها بكثير من الاعتزاز :

ـ لا تقلقي عليه . فلا بد ان يجد له مكانا مريحا في القطار اللاحق .. وسترافقه حسناؤه رنده . انها هي الاخرى تعرف كيف تبتسم .

وترتاح الام لكلام زوجها . وتسند راسها على كتفه وتغفو .

* * *

وبخطوات مجنونة يقترب من سرير « رنده » ويهزها هزا عنيفا .

وحين تفتح عينيها ، يقول لها بوله عجيب :

ـ انهضي يا حبيبتي .. انهضي وقبل ان يغادرنا القطار .

حمص — عدنان الداعوق

بيت الفنان

مهداة الى صديقي الفنان الملهم زكريا كايا
الذي اوحت صومعته الشاعرية بهذه القصيدة

فؤاد الخشن

خلدة — لبنان



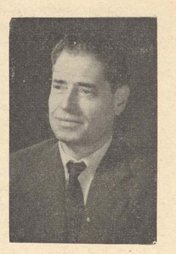
الضوء الاحمر مرتعش
لهفا في بيت الفنان
ودخان التبغ ظلال هوى
تعب في لحظ تعبان !
فينوس الشعر تطالعنا
منها في ركن عينان
الحزن يذوب بسحرهما
ويموج بهدب ولهان
ووراء الربة لوحات
شتى عذراء الالوان !
فهنا ، في الحائط ، رائعة
للحب ، بروض ايراني ..
طاووس الشؤم يجندله
رمح كي يسعد قلبان
ويزين الريش بمخمله
شعرا ... وينقر ثغران !

وهناك تراءت ثانية
تروي مأساة الانسان
يسعى ، في العيش ، على امل
يبدو كالضوء الحيران
ويفتش في هذي الدنيا
عبثا عن شط اطمئنان !
فيرى ، في قبر ، جمجمة
صفراء تعج بديدان
وبحار دماء راشفة
في الافق عروق السرطان

فينوس يتمتم شاعرها
محموما في ركن ثان !
الوجد يغيم بعينيه
وظلال الوحي الوسنان
والكأس تفور على فمه
وتذيب غمام الالحان
وضباب بخور محترق
ينداح كئيب الرجفان
وبقرب الشاعر فنان
يرتاد عوالم شوبان
فيكاد يطير لنقرات
بضلوع بيان لهفان
ويروح يليح بكفيه
ويميد كشرب في حان !

لله هنالك صومعة
فيها يهذي مجنونان
العمر المجدب عندهما
عطر ... وجزائر مرجان !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقولا يوسف

تاجور بمصر

بقلم نقولا يوسف

في شهر نوفمبر عام ١٩٢٦ جاء شاعر الهند رابندرانات تاجور لزيارة الاقليم المصري ، فأتاح لنا بذلك فرصة مشاهدته والاستماع اليه محاضرا ومتحدثا .. وكنا نقرأ ما تنشره الصحف اليومية التي تتبعت خطواته وروت اخباره ، بينما كان امامنا في المكتبات نحو ثلاثين كتابا للشاعر مطبوعا بالانجليزية لمن شاء الاستزادة من معرفة الشاعر وأدبه ..

وكانت مصر يومذاك تعاني وطأة الاحتلال وتقاومه ، وكنا نعلم ان تاجور قد رد للانجليز عام ١٩١٩ وسام الفروسية ولقب « السير » اللذين اهدتهما اليه الحكومة البريطانية عام ١٩١٥ ، احتجاجا منه على الاساليب التي اتبعها الاستعمار في مقاومة الحركة الوطنية في الهند .. كما كان الشاعر صديقا لغاندي ، زعيم الوطنية الهندية ، يبجل كل منهما الآخر ، مشتركين في الشعور بآلام شعبهما ، والتعبير عن آماله كل بطريقته الخاصة ، وبفلسفته الخاصة ـ المؤديتين الى غاية واحدة ..

وكان مما قرأناه ، ذلك الحديث الذي دار في لندن بين تاجور وبين الكاتب الانجليزي الكبير هـ. ج. ولز ، وقال تاجور :

« .. اعتقد ان وحدة الحضارة الانسانية يمكن ايجادها بطريقة امثل اذا نحن عملنا على ان نصل بين حضارات العالم بروح الزمالة والتعاون بينهما .. انه لما يؤسفنا ان نعتقد في اية امة أو سلالة انها ممتازة عن غيرها ، وأن بها عناصر التفوق ، كأنها قد حوبيت محاباة الهية في نظام الخليقة .. انه لفي الاستطاعة ان تتفق افكارنا ، وان تتلاقى وتتماوج وتتكاتف على تشييد صرح كمال نحلم به ـ صرح يحتوي خير الانسانية الابدي .. لقد قسا قلب التاريخ البشري على الانسان ، فأملى جشع الاقوياء شروطه الثقيلة على الاقوام الضعيفة ، فأرهقها واستثمرها ، لاشباع نهمه الدنيء . ومزّق الالم اوصال البشرية . فعلينا نحن الأدباء ان ننقذ الانسانية من هذا الشقاء المنطوي على علاقة غير طبيعية ، وان ننهض بالشعوب المختلفة الى كيان أرفع ، وعلينا ان نسعى الى هذه الغاية مهما تتباين الافكار التي ننتمي اليها .. » (١)

وكان الشاعر يوم جاء الينا ، في طريقه الى وطنه ، بعد طواف بأقطار أوروبا دام ستة اشهر ـ وكان يودّ زيارة فلسطين العربية ايضا ، فلم يستطع اطالة سفره واجل رؤيتها ـ ولكن الايام لم تحقق هذه الرغبة ولا امنيته في عودة اخرى الى مصر .. فكانت زيارته هذه للاقليم المصري هي الاولى والاخيرة ، ولم تستغرق غير أسبوع واحد . ولكنه عاد منها وقد احب الشرق العربي بقدر ما احبه .

ولم تكن ايضا تلك الجولة الطويلة في ربوع اوروبا هي اولى رحلاته خارج بلاده ولا آخرها ، فقد كان الشاعر رحالة ، شغوفا بالاسفار والتعرف الى شعوب الدنيا ، والتي كان يعدّها وطنه الثاني الكبير ..

فعندما كان صبيا في السادسة عشرة ، ارسله أبوه « المهاريشي ـ دفندرانات تاجور » ليدرس القانون بكلية بريتون بانجلتره ـ وكان ذلك عام ١٨٧٧ ـ ولكن نفسه لم تسترح الى نمط العيش والدراسة هناك ، وانصرف الى الادب والموسيقى .. ثم عاد الى وطنه بعد اربعة عشر شهرا ليتعلم بالطريقة التي يرضاها ، وليكتب : « ذكريات سائح في اوربا » منتقدا ما لم يعجبه ، ومخيبا آمال ابيه وذويه الذين راوا له ان يتخرج محاميا في جامعات انجلتره .

ولكنه ـ وهو المحب للاسفار ودرس البلاد والناس ، قصد الى اوربا ثانية عام ١٩٠٠ وتنقل بين ايطاليا وفرنسا وانجلترا ، وعاد بعد شهور ليتابع جهاده في الاصلاح بطريق القلم والمحاضرات وبانشاء مدرسته التي سماها :

---

(١) « المجلة الجديدة » بالقاهرة ـ يوليه ١٩٣١ ـ (٢) و (٣) جريدة الاهرام ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦ وما تلاه ، وبعض صحف ومجلات ديسمبر ١٩٢٦ ـ (٣) قصيدة « صناعة التاليف » من ديوان « الهلال » لتاجور . عن الترجمة الانجليزية (ماكميلان) ١٩١٣ ـ ١٩٢٤ ص ٥٨ (٤) وانظر لكاتب هذا المقال : « ساعة مع تاجور » ـ السياسة الاسبوعية عدد ٢٨ـ٧ـ١٩٢٨ ـ و « في الادب الهندي » : ـ السياسة الاسبوعية عدد ٢٣ـ١٢ـ١٩٢٧ ـ و « تاجور في القاهرة » : جريدة (المساء) بالقاهرة ٤ـ٥ـ١٩٦١ ـ و « تاجور الراهب الذي دعا الى الحياة » : ـ جريدة (الادباء) بالقاهرة ٦ـ١١ـ١٩٦١ .

« سانتي نكيتان » – اي دار السلام – وبداها روضة نموذجية للاطفال ثم ما لبث ان صارت على مر الايام جامعة عالمية باسم « فيشو بهاراتي » – جامعة الهند – كما قبل ايضا تعيينه وكيلا لرئيس اكاديمية الآداب البنغالية .

وارتحل عام ١٩١٤ الى اليابان فالولايات المتحدة ، ثم رجع الى بلاده ليشترك في المؤتمر الوطني الذي عقد بكلكتا في ذلك العام .. كما اشترك مع رومان رولان في « اللجنة العالمية لمقاومة الحرب » فقد كانت الحرب العالمية الاولى قد اشتعل اوارها .

كما ذهب عام ١٩١٦ الى الصين واليابان ، والقى هناك بعض المحاضرات داعيا الى السلام والتعاون ولكنه عندما القى بجامعة طوكيو الامبراطورية محاضرة ندد فيها بالحرب والاستعمار ، تعرض لغضب الساسة في ذلك العهد هناك فقاطعوه ، وعاد الى بلاده ليضع كتابه في « الوطنية » ..

وعاد سنة ١٩٢٠ يتجول في بلاد اوربا واميركا ، وشاهد ما حل بالعالم من جراء الحرب فزاده ذلك حماسة في الدعوة الى السلام العام .. وكان يلقى كعادته المحاضرات والاحاديث ، كمحاضرته بجامعة جنيف بسويسره في ربيع ١٩٢٠ وبها تلا قطعا من كتابيه « سدهانا » و « رسالة الغابة » .

ثم قام برحلة سادسة عام ١٩٢٥ الى الصين فاليابان فأمريكا الجنوبية (وبها زار بيرو والارجنتين) ، وعاد الى بلاده عن طريق ايطاليا ، ليعين رئيسا للمؤتمر الفلسفي بالهند .

وما لبث ان عاد الى اوربا عام ١٩٢٦ – وهو العام الذي زار في اواخره الديار المصرية – فزار ايطاليا ، وسويسره ، والنمسا ، وفرنسا ، وانجلتره ، والسويد ، والنرويج ، ودنمركه ، والمانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وهنغاريا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وتركيا ، واليونان ، ومصر – وحاضر الناس فيها جميعا وتحدث .

وفي اثناء هذه الرحلة التي استغرقت نصف عام ، دعاه صديقه رومان رولان للاقامة عنده فترة على شاطىء بحيرة ليمان بسويسره ، وهناك بحثا في تهديد الفاشية الايطالية بالحرب ، وفي وجوب الاخاء بين الشعوب ، وفي نشر لغة عالمية تساعد على التفاهم بين الامم .. ونشر تاجور يومذاك بجريدة « المنشستر جارديان » بعض المقالات هاجم فيها النظام الفاشي ، مما اثار عليه حملة عنيفة في الصحف الايطالية الموالية للفاشية يومذاك .

وعاوده شغفه بالاسفار ، فراح بين ١٩٢٧ – ١٩٢٨ يطوف بجاوه ، وسيام ، والهند الصينية ، ثم بالصين ، واليابان ، وكندا . واخيرا .. فيما بين ١٩٣٠ – ١٩٣١ وكان قد بلغ السبعين – ذهب الى فرنسا ، وانجلتره ، ودنمركه ، وايطاليا ، وروسيا ، والولايات المتحدة الاميركية .. ووضع بعد ذلك كتابيه « رسائل من روسيا » و «رحلة الى اليابان » . وكان قد تعب من الطواف والتنقل بين ارجاء الارض ، فاستقر في وطنه يعلم في جامعته ويكتب وينظم الشعر والاغاني ، ويحاضر ويخطب .. حتى لفظ انفاسه الاخيرة في ٧ اغسطس سنة ١٩٤١ .

وكان لتاجور من هذه الرحلات الطويلة في انحاء الارض، وتحمله مشاق السفر وركوب البحر ، الى جانب رغبته في الدرس والاستطلاع ، والتعرف بالشعوب والامم على مختلف اجناسها والوانها ، اغراض اخرى أهمها : الدعوة الى مبادئه في الايمان بالسلام ، والاخاء ، ونبذ الحروب والاستعمار ، وتجنب الحزازات اللونية والعنصرية ، والتعاون الروحي والمادي بين الامم .. فيقول للناس ما قاله في خطابه بفندق « شبرد » بالقاهرة : « ان الوسيلة لقهر الانانية وزوال التعصب الجنسي ، ليست هي الحديد والنار ، وانما هي انتشار الافكار السليمة بين الشعوب ، وسعيها جميعا لادراك الحقيقة المجردة التي يجب ان تكون غاية الغايات . »

فكان بذلك رسول سلام بين الناس .. والسلام كما يقول : « لن يترتب على عمل صناعي مطلقا كالاتفاقات الدولية وما اليها .. انما الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي : الوحدة الروحية . » وفي الوقت نفسه ، كانت هذه الدعوة الى تلك المبادىء السامية ، وتعريفه الامم بفلسفة الهند وثقافاتها ، خير دعاية للهند ، واكبر مساعد لها في كسب عطف الشعوب على قضيتها الوطنية قبل استقلالها .. فكان سفيرا عظيما لبلاده في انحاء العالم .

ولما كانت جامعة « سانتي نكيتان » السالفة الذكر تعلم تلك المبادىء ، ويحج اليها الطلبة على مختلف الوانهم وأجناسهم ، وكانت في حاجة الى المعونة والتوسع ، فقد راح تاجور يدعو ايضا الى معاونة هذه الجامعة بان يجعل لحضور محاضراته العامة في المسارح ، اجرا زهيدا يذهب الى تلك الجامعة ومكتبتها ومراكز ابحاثها ونشاطها .

وكان نبأ قدوم تاجور لمصر قد طير من استنبول ، حيث قضى ثلاثة ايام بعد زيارة رومانيا ، واثينا .. وكانت شهرته الواسعة ، ومؤلفاته الرائعة ، تسبقه اينما حل .. وكان قد منح عام ١٩١٣ جائزة نوبل في الآداب ، ووسام من السويد ، ووسام آخر ولقب من الانجليز عام ١٩١٥ ، وهو تقدير رمزي لشاعر الانسانية ، دفع الكثيرين من ادباء الشرق والغرب الى ترجمة مؤلفاته الى لغاتهم .

وقرا الكثيرون ايضا عن حياته وآرائه في كتابه : « الذكريات » المطبوع بالانجليزية عام ١٩١٧ . وفي كتاب راضا كريشنان : « فلسفة رابندراناث تاجور » عام ١٩١٨، ثم في مؤلف وضعه الكاتب الانجليزي تومبسون عام ١٩٢٦ بعنوان : « تاجور شاعرا وكاتبا مسرحيا » .. واخيرا كتاب اندريه جيد عن تاجور ، وكتاب ارنست اريس عن سيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر .. غير ما كتب عنه في صحف الشرق والغرب ، والمجلات ، والموسوعات ..

وأما الادباء عندنا فكان بعضهم يعرف تاجور من كتبه المترجمة الى الانجليزية والفرنسية على وجه خاص .. واما من لم يقرأ في لغة اجنبية ، فلم تكن امامهم يومذاك غير المحاولات الاولى لنقل آثاره الى العربية ومن ذلك ديوانه « بلاقة » او « البستاني » الذي عربه وديع البستاني ، واشار في مقدمته الى منزلة الشاعر في الشرق والغرب ، وما قالته بعض الصحف الانجليزية عن كتابه هذا .. ومنه رواية : « البيت والعالم » التي ترجمها المرحوم طانيوس عبده الى العربية عام ١٩٢٥ ، وشاء القدر ان ينتقل طانيوس عبده الى رحمة الله يوم ٢ ديسمبر ١٩٢٦ وتاجور مقيم في القاهرة .. ثم مختارات قليلة من شعر تاجور كان ينقلها بعض ادبائنا في المجلات ومنهم ابراهيم المصري بمجلة « التمثيل » .

فكانت زيارة تاجور لبلادنا حافزا للكثيرين من محبيه الى البحث عن مؤلفاته وحياته ، ثم الى كتابة شتى الفصول عنه وعن مؤلفاته في الصحف والمجلات .. الى ان توالت فيما بعد ترجمة الكثير من هذه المؤلفات الى العربية .

وتألفت قبيل وصول الشاعر الى الشاطىء السكندري لجنة من الادباء للاستقبال والحفاوة .. ووضع السيد « سوارس » قصره بناحية «سابا باشا» برمل الاسكندرية، وسيارته الخاصة تحت تصرف الشاعر ومن معه .

كان هذا في صباح السبت ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢٦ حيث رست بميناء الاسكندرية الباخرة الرومانية « الامبراطور تراجان » قادمة من رومانيا فاستنبول فأثينا ، وعليها شاعر الهند تاجور يصحبه بعض افراد اسرته ـ ابنه الشاب « راتندراناث تاجور » وزوجة ابنه السمراء اللطيفة ، وحفيدته الطفلة الصغيرة الجميلة .. وكانوا كما سلف في طريقهم من اوروبا الى وطنهم ، على أن يقضوا اسبوعا بمصر .

فما ان رست الباخرة حتى خف اليها عدد من الادباء العرب والاجانب ، وجمع من ممثلي الصحف العربية والافرنجية ، ومصوريها ، وبعض من الجالية الهندية بالثغر وخارجه .. (٢) وفي قاعة المائدة بالباخرة ، وقف تاجور يستقبل جميع القادمين ويصافحهم .. وعلى مقربة منه وقف نجله ، وقرينة ابنه مرتدية الساري الهندي الانيق ، وحفيدته الصغيرة اللطيفة لابسة قبعة عالية ذات شريط ابيض ، ومعطفا فاتح اللون .. وكانت هذه العائلة الصغيرة مقربة الى قلب الشاعر ترافقه في روحاته وغدواته.. وهو من نكب في اسرته منذ كان في الاربعين ـ ففقد فيما بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٧ زوجته الحبيبة « مريناليني » وابنته وابنه ووالده وزوجة اخيه .

واقبل بعض التجار الهنود لتحية مواطنهم الكبير .. يتقدمهم السيد الهندي « ديالداس » وقرينته ـ جاءا من بور سعيد لمصاحبة الشاعر في هذه الزيارة .. ورفعت السيدة كفيها مطبقتين الى محاذاة الانف وحركتهما الى الامام حانية رأسها قليلا .. فرد الشاعر تحيتها الهندية بمثلها ، وصافحه قرينها بيده . ثم تقدم من يحمل سلة ملأى بعقود الورد والرياحين . فأخذت السيدة منها عقدا طوقت به جيد الشاعر فتدلى الى صدره .. ووضع زوجها عقدا آخر ، وثالث عقدا ثالثا . ثم اتجهت السيدة وقرينها الى كل من زوجة تاجور الصغير ، وقرينها ، وطفلتهما فطوقت اعناقهم بعقود الازهار .

وكان مواطنو الشاعر هؤلاء يلقبونه بالدكتور .. فهو (دكتور) شرفي في الفلسفة .. تسابقت الجامعات في شتى الدول الى اهدائه هذا اللقب العلمي رمزا الى التقدير .. كما لوحظ ان السيد ديالداس والسيدة قرينته كانا يتحدثان مع تاجور باللغة الانجليزية ، لانهما لا يعرفان البنغالية ـ لغة مواطنهم الشاعر ـ ففي الهند كما تعرف تتعدد اللغات واللهجات ، نظرا لاتساعها الشاسع .. ثم تقدم نفر من المعجبين والمعجبات وحظوا بتوقيع الشاعر باسمه في « الاوتوجراف » وعلب السجائر والبطاقات !.

واخيرا جلس الجميع في « ندوة ادبية » فوق البحر .. وطالت الندوة قليلا اذ كان الشاعر قد نسي ان يؤشر على جواز سفره من ممثل مصر في رومانيا ، فاتخذت « الاجراءات القانونية » اللازمة سريعا لتسهيل نزوله .. وكانت فرصة سانحة لمندوبي الصحف !. وتوسط تاجور الحلقة ، واخذ الجميع يتأملونه في اكبار :

كان آنئذ شيخا في الخامسة والستين ، مديد القامة ، اسمر اللون ، مشرق الوجه مستطيله ، عريض الجبهة ، مهيب الطلعة ، ذا لحية بيضاء مسترسلة ، وشعر ابيض متهدل ، ينسدل قليلا تحت قلنسوة عالية غير منتظمة الحواشي من القطيفة السوداء ، وعينين واسعتين عميقتين، يشع منهما الذكاء والحنان .. وابتسامة حلوة بريئة .. وصوت منخفض مسموع هادىء النبرة ، يحسن الغناء والترتيل .. وطبع هادىء رصين ينطوي على نفس سخية سامية .. وكانت تكسوه عباءة فضفاضة برتقالية اللون تستر ما تحتها من الملابس الشرقية ، ويرى من تحت ذيولها « بنطلون » رمادي عادي ..

كان شبيها بحكماء الاغريق القدماء ، ورهبان الشرق وبطاركتهم .. كما ان لفظة « تاجور » تعني الراهب .. ولكنه كان يحب ان يلقب « بالشاعر » فحسب ـ لا بالحكيم ولا بالناسك .. فهو فنان في حياته واعماله ، يمارس الشعر والموسيقى والغناء والتصوير وفنون المسرح .. وهو لم يزهد في الحياة وما بها من فنون وجمال ومسرات بريئة.. ولو ان الشعر والفلسفة في الهند توأمان قلما يفترقان .. والتعاليم الدينية والصوفية هناك تسودهما الفلسفة الروحية ورقة الشعر ..

.. وراح الحاضرون من الادباء والصحفيين يتبارون في

ARCHIVE
archivebeta.sakhrit.com

« توجيه الاسئلة » وهو يجيب عليها بلغة انجليزية سليمة .. واليك نموذجا من الاسئلة واجوبة الشاعر عليها ، كما لخصها مندوب « الاهرام » في اليوم التالي : (٣)

س ـ ما راي السيد الشاعر في السلام العام ومهمة جمعية الامم ؟

ج ـ ان السؤال يستوجب بحثا طويلا . ولكني احاول ان ابدي رايي في ايجاز . ان السلام يجب ان يكون اولا خلقا في الناس . فهو لا يصنع بآلة . وجمعية الامم كما هي الآن لا تستطيع ان تحمل السلام الى العالم ، لانها لم تؤلف من عناصر متخلقة بحب السلام ! يجب ان تتغير العقلية اولا ، وتصلح الضمائر . وبدون ذلك لا يكون سلام في العالم . لقد كانت الشعوب الاوروبية في الماضي تقدر للحياة الروحية في الناس قيمة كبيرة . اما الآن فقد قل هذا التقدير بسبب اتساع المطامع المادية !

س ـ واذن فمتى تصلح الامور ؟

ج ـ متى تغيرت الافكار !

س ـ وكيف تتغير الافكار ؟

ج ـ كما تغيرت في الماضي . ان الامر ليس متعذرا . فأن الاوروبيين كانوا فيما مضى يقتل بعضهم بعضا من اجل العقائد الدينية . ثم تبدلت افكارهم بقوة العلم والعرفان . فابتعدوا عن تلك الاخلاق حتى لم يعودوا يعرفونها ، ولم تعد تنسب اليهم . يجب ان يرتقي الافراد اذا كثر المرتقون ، وكونوا قوة تفعل فعلا عجيبا . وكثيرا ما يظهر فعل هذه القوة سريعا بعد تطورها .

س ـ هل زار الشاعر مصر قبل الآن ؟ وما رايه في احوالها الحاضرة ؟

ج ـ هذه هي زيارتي الاولى لها . واعرف انها آخذة في النهوض . واعرف زغلول باشا . وانه على رأس هذه النهضة الشعبية . ولا اعرف كثيرا من التفاصيل . واتمنى لمصر كل خير ونجاح .

س ـ قرانا باعجاب كتابكم عن « الوطنية » ولا شك ان كل شرقي يسيطر الاجنبي على بلاده يؤيد ما ذكرتموه . فهل يمكن معرفة الاسباب التي حملتكم على وضع هذا الكتاب ؟

ج ـ كنت عام ١٩١٦ في اليابان الناهضة . فادهشني ما رايته فيها من الميل الى الجور على جيرانها اهل الصين وكوريا ، وعدم المبالاة بالحاق الاذى ببلادهم على قاعدة خدمة المصالح بالطرق التي تتبعها دول الغرب . وتذكرت ان اليابان اقتبست مدنيتها القديمة من الصين ، وانه كان يجدر بها ان تكون اكثر رفقا في معاملة الجيران ! فكتبت ما صار بعدئذ ذلك الكتاب الذي تشيرون اليه وقد جعلته محاضرة تلوتها في احدى جامعات اليابان في ذلك الوقت. وكان اليابانيون يبالغون في اكرامي . غير انهم امسوا بعد تلك المحاضرة يخافون على الناشئة اليابانية من آرائي ! فأبعدوها عنى وابعدوني عنها ! على اني بعد ذلك القيت بعض الخطب في هذا الموضوع بالولايات المتحدة الامريكية ، فنالت تقدير الامريكان . وفي الواقع انـي لا ادري كيف يطلب الناس وهم يعملون كل ما يجلب الخصام ، ولا يراعى بعضهم بعضا . واكثر ما يرد ذكر السلام على الالسنة متى كان ذاكروه في حاجة ماسة اليه !

س ـ متى تظنون ان الشرق يقوى على صد مطامع الغرب ؟

ج ـ متى انتشر بين الجماعة مبدا الصدق في القول ، ووحدة العاطفة الانسانية . لان الشرق في حاجة الى اتباع المبادىء التي ترتضيها الحياة الطبيعية ، ونهضة الفرد هي اساس النهضة العامة .

س ـ قلتم في الاستانة انكم مقتنعون بان الثورة التركية ستوجد عصرا جديدا لتركيا ولسائر شعوب الشرق ، لان التعصب الديني احدث تأثيرا رجعيا في الشرق . وقد رسمت تركيا الآن له الطريق الذي يجب ان يتبعه .

ج ـ نعم . وارجو ان لا اكون مخطئا ! فان الشرق اخره التعصب الديني . وقد آن لهذه الحال ان تزول . واظن ان الاتراك احسنوا بنزع الاشواك من طريقهم . وارجو ان تثمر حركتهم ثمارا صالحة !

وما لبثت « الاجراءات القانونية (الروتينية) » ان انتهت ونهض تاجور ومن معه ، ونـزل من الباخرة الى شاطىء الاسكندرية ممسكا بيد حفيدته الطفلة .. وسارت الجموع وراءه في موكب ، تتقدمهم السيدتان الهنديتان ، واستقل واسرته سيارة مضيفه الاستاذ « سوارس » ـ الى قصر سوارس بسابا باشا بالرمل .. وهناك زاره ادباء الاسكندرية العرب والاجانب ، مرحبين .

وكانت «جمعية الادباء اليونانيين السكندريين» قد بادرت ايضا بتكوين لجنة من اعضائها لاستقبال الشاعر وتكريمه ، وكلفت الشاعر الديبلوماسي « مارينو سيفوروس » بكتابة كلمة التحية ، ثم ترجمها الى الانجليزية ، الشاعر اليوناني السكندري المعروف « قسطنطين كفافي » (١٨٦٣ـ١٩٣٣) واهديت الى تاجور .. وفي احدى « فلات » الرمل دعت هذه الجماعة تاجور ، وافراد اسرته الى حفل ادبي انيق ، وقدمت له صينية من الفضة نقشت عليها عبارة الاهداء والتقدير .. وهناك تحدث الى افراد الجمعية ومدعويها ، وكان مما قاله ـ ان الباخرة التي استقلها من رومانيا الى الاسكندرية ، وقفت بميناء بيريه بضع ساعات ، فانتهز الفرصة ونزل ليطوف بأثينا ويزور آثارها فاعجبته كثيرا ، وود لو عاد اليها في زيارة اخرى طويلة .

وكان موعد المحاضرة التي يلقيها تاجـور عن « فلسفة قومنا » ـ أي فلسفة الهند ـ بمسرح الحمراء (تياترو الهمبرا) بالاسكندرية في الساعة السادسة من مساء الاحد ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦ . وهناك كان المسرح « قد امتلأ على سعته قبل الموعد بجماهير الاسكندرية من عرب وافرنج .. واستقبل الشاعر عند ظهوره على المسرح بعاصفة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التصفيق .. وسرعان ما ساد المكان صمت عميق لا يسمع فيه همس . وكأنما تحول الملهى العتيد الى معبد مقدس ، يقوم بطقوسه كاهن عظيم وفد من اغوار التاريخ !. وقد اضفت عليه لحيته المسترسلة البيضاء وشعره الكث الابيض وقوامه المعتدل المديد ، وعباءته الشرقية الجميلة بلونها البني الفاتح — مهابة فوق ما كان له في القلوب من منزلة ومكانة ! وجلس تاجور وسط المسرح يحف به من الجانبين ، اعضاء لجنة الاحتفال ، وعدد من المدعوين في نحو خمسين رجلا وسيدة ، بينهم ممثلو الصحف العربية والافرنجية.. وكان امام الشاعر خوان مغطى بقماش هندي ابيض ، موشى بالحرير الاصفر .. وعليه اربعة او خمسة كتب من مؤلفات الشاعر بعضها بالانجليزية ، والبعض الآخر بالبنغالية ..

ووقف « المستر هنري باكر » والقى كلمة الترحيب ، نيابة عن لجنة الاحتفال ، قدم بها الشاعر الى الحاضرين ، مشيدا بمواهبه في الشعر والموسيقى والفلسفة ، ومشيرا الى مؤلفاته واعماله وما له من المقام الرفيع في عالم الادب في الشرق والغرب .. وعندما نهض تاجور ليتكلم ، تقدم نحوه اربعة من وجهاء الهنود ومعهم سيدتان هنديتان لابستان « الساري » ، يحملون عقود الورد والزهر ، ووضع كل منهم على جيد الشاعر قلادة منها — تدلت الى صدره ، وشكر الشاعر مقدمي الازهار .. وبعد برهة نزعها في هدوء ، ووضعها على الخوان امامه .

وفي صوت جلي مسموع في ارجاء المكان الصامت (ولم يكن الميكروفون قد شاع بعد) ، بدا تاجور يتكلم بالانجليزية في بطء وطلاقة ، ودون توقف او تردد .. فشكر اولا اعضاء اللجنة التي تألفت بالاسكندرية للحفاوة به ، وشكر الجمهور الذي حضر لسماعه .. ثم استأذن في الجلوس ليتحدث وهو جالس . وقال انه ينظر في هذا الطلب الى امرين : احدهما ان طول الوقوف يتعب شيخوخته . والثاني انه لا يزعم انه من اولئك الخطباء الافذاذ الذين اذا خاطبوا الجمهور واقفين ، ملكوا قياد السامعين ! وهو لا يريد ان يكون كذلك .. فقد اعتاد ان يتكلم في عزلته ، وان يفكر في وحدة ، وان يكون جالسا في اثناء ذلك . فلهذا فهو يجلس ليكون كالحاضرين ، ويقول ما يريد ان يقوله لهم في سهولة . ثم جلس .. فحياه الجمهور ثانية بالتصفيق .. وعاد السكون فشمل المكان .

وطفق تاجور يلقي محاضرته .. وخلاصتها :

قال : انه يطلب الى الحضور ان لا يعدوه فيلسوفا .. لانه لا يعد نفسه الا شاعرا ! على ان الشعر والفلسفة يمتزجان في الهند ، بسبب حب التحرر من قيود الامور الواقعة ، والانطلاق الى حيث تجد النفوس ما تتوق اليه من « حقيقة الحياة الروحية » — التي هي اساس الكمال الانساني ومصدر الطمأنينة النفسية . لان الانسان لا يستطيع الشعور بالغبطة اذا لم يلمس اسبابها ، ويعرف مصادرها ..

وقال : قد يحسب بعضكم اني فيلسوف . ولربما كان لي من الفلسفة حظ . الا ان الحظ لا يطغى على شعري ، ويلقي به الى قاع سحيق لا يرى من خلاله الا كما ترى الاسماك الصغيرة .. انما انا كالكثير من اهل الهند لا تتعدى فلسفتي فلسفة الشعب ، وتلك عندي فلسفة الشاعر ..

ثم اورد مثلا من الموسيقى — فقال : ان المرء اذا سمع موسيقا غريبة لم يألفها ، يضايقه سماعها ، واحيانا يعذبه.. لان نظامها لا يجد في نفسه ذلك الشعور الذي تهزه الموسيقا عنده .. وذلك لانه لا يعرف ماذا تمثل النبرات الموسيقية التي يسمعها . ومعرفة الموسيقا ليس في فهم « النوتة » واوزانها ، بل هي في فهم الصور الذي منه تجيء الموسيقا الموقعة .. ان الآلات لا توصل الطرب الى القلب ، وانما الذي يوصل الطرب الى القلب ، وينعش الروح هو ذلك التيار الحيوي الذي يسري من مصدر النغم الى روح السامع . فالذي يطرب بالموسيقا هو الذي يشعر بما تمثله الانشودة من تأثيرات روحية شخصية .. وكذلك الذي يعرف حقيقة الحياة ومصادرها ، يغتبط بها اذا وصل الى قلبه وحيها وآلامها ، وصدقها وماهيتها مجردة من عوامل الوقائع والحوادث . وضرب لذلك مثلا مما رآه بنفسه — قال :

انه كان مرة مقيما في قرية صغيرة من قرى البنغال . وكان خارج بيته في تلك القرية .. فدنت منه امرأة لم يكن يعرفها ، وقدمت له ثمرة مملوءة من قوة الحياة النباتية .. وقالت له : « هذا يا سيدي افضل ما استطيع ان اقدمه لمن ابجله » .. ثم دخلت تلك المرأة عينها الى المكان الذي كان فيه وكان منهمكا في الكتابة .. واتفق ان البستاني كان داخلا وبيده مجموعة من الازهار الغضة التي تسري فيها الحياة . يريد وضعها في وعاء معه للزهور بدلا من ازهار ذابلة فيه .. فلما ابصرتها قالت : انت لا ترى !. اعطني هذه الازهار « قالت ذلك ، وتناولتها من البستاني ، وغمرت وجهها بها وقالت : « اني اشعر بان ما في هذه الازهار من حياة تصل بيني وبين من اعبد » قال : وكنت ارى انها تقول ما تعتقده حقا .. فهي قد شعرت بغبطة من تلك الحقيقة التي وجدتها في الازهار وفي الطبيعة التي انبتتها بما فيها من قوة الانماء .

(ثم تابع الشاعر بحثه في الحرية الفكرية ، وضرورة حل قيود الافكار لتتمتع بالحقائق التي لا تقبل التقيد . وقال : ان هذا هو مصدر شعره ، وما يتصل بالشعر من فلسفة) — وقال : انه سيتلو على الحضور بعض قطع من منظوماته منقولة الى اللغة الانجليزية بقلمه وتناول واحدا من الكتب الموضوعة امامه .. وذكر قبل ان يبدأ التلاوة :

« ان الشعر في لغته الاصلية ، له روعة لا تنقل الى لغة اخرى .. وانه وان كان قد ترجم ذلك الشعر بنفسه ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويرى ان الترجمة تمثل المعنى الذي اراده ، فهو يرى ان قوة البيان لبست واحدة . وهذا الجو لا يترجم . ثم ان موسيقا الشعر الاصلي لا تنتقل الى الترجمة الشعرية ايضا » . وقال انه سيتلو الترجمة والاصل بلغته ، ليسمع الحاضرين الموسيقا الشعرية في تلك اللغة الاصلية.. واخذ الشاعر يتلو بالانجليزية ترجمة قصيدتــه « العصفور في القفص والعصفور في البرية » وهي تمثل الفرق بين سجن الاول وانطلاقة الثاني .. ثم تناول كتابا آخر ، واخذ يتلو القصيدة نفسها باللغة البنغالية .. فسمعنا وزنا موسيقيا لطيفا — (وهذا الوزن لا يماثله بحر من بحور الشعر العربي الستة عشرة) ..

ثم قرأ قصيدة ثانية موضوعهــا : « الام وطفلها » مــن ديوانه « الهلال » المطبوع بالانجليزية عام ١٩١٣ — وتلا بعد ذلك اصلها بالبنغالية (وهي في هذه اللغة على وزن يكــاد الرمل من بحورنا العربية ، كمــا ظن البعــض) — وهاك ترجمتها النثرية : (٣)

« تقولين ان ابي يكتب الكثير من الكتب .

ولكن ما يكتبه ، لا افهمه !

كان يقرأ لك طول المساء . فهل قدرت حقا ان تفهمي ما كان يعني ؟

انك يا امي تستطيعين ان تقصي علينا الحكايات الجميلة.

فلماذا لا يقدر ابي ان يكتب مثلها ؟ اني لاعجب !

الم يسمع من امه قط — حكايات عن الجبابرة والجنيات والامــيرات !

وهــل نسيها كلهــا ؟!

كثيرا عندما يتأخر عن الاغتسال ، ذهبت وناديته مائة مــــرة

تنتظرين ، وتبقين الاطباق ساخنة لاجله ، ولكنه يستمر في الكتــابة وينسى !

ابي دائما يلهو بعمل الكتب !

اذا انا ذهبت مرة لالعب في حجرة ابي ، اتيت وصحت بي : يا لك من طفل شقي !

وان اتيت بأقل صوت ، قلت : الا ترى اباك يشتغل ؟ »

ما الداعي الى الكتابة ، والكتابة دائما ؟!

وان تناولت ريشة ابي او قلمه ، وكتبت على كتابه كما يفعل هو : (ا ب ت ث ج ح خ د ذ) فلم تغضبين منــي حينئذ يا امــي ؟

في حين لا تقولين كلمة عندما يكتب والدي !

ولما يضيع ابي هذه الاكوام من الورق يا امي ، لا يبدو انك تبالين مطلقا !.

ولكن اذا انا اخذت ورقة واحدة لاصنع منها زورقــا ، تقولــين :

يا لك من طفــل متعب !

فماذا ترين في ابي وهو يشوه فرخا من الورق وراء فــرخ ؟!

بعلامات سوداء على الوجهين !.. »

ثم جعل الشاعر يتلو قصائد أخرى باللغتين ، وينشد بعض القصائد البنغالية في صوت عذب رقيق كما لحنها هو . ولما انتهت المحاضرة وطال التصفيق ، وقف الشاعر محييا الحاضرين بالتحية الهندية رافعا كفيه مطبقتين الى فمه . واستغرقت المحاضرة ساعة ونصف ساعة .. وانتقل الشاعر بعدها الى غرفة داخل المسرح حيث التف حوله عدد من المعجبين الى ان حان وقت الانصراف ..

وفي صباح اليوم التالي — الاثنين ٢٩ من نوفمبر١٩٢٦ — استقل تاجور واسرته وصحبته — القطار من الاسكندرية الى القاهرة فوصل اليها بعد الظهر بقليل .. وهناك كان في استقباله جمع حاشد من ادباء العرب والهنودوالاجانب .. وتقدم الشاعر العربي احمــد شوقي — رحمه الله — وصافح تاجور مرحبا بقدومه نيابة عن شعراء البلاد .. كما قلدته سيدة هندية وزوجها عقود الازهار .. واستقل تاجور سيارة شوقي ، وصحبه فيها شوقي ، والكــاتب المرحوم احمد حافظ عوض الى فندق « شبرد » القديم ، حيث نزل مدة اقامته بالقاهرة . وتبعه اليه ابنه وزوجة ابنه وطفلتهما وبعض اصدقائه الهنود .

وفي مساء ذلك اليوم ، ذهب تاجــور الى دار الشاعر احمد شوقي بالجيزة « كرمة ابن هاني » تلبية لدعوة الى حفل الشاي الذي اقامه لتكريمه .. ولبى الدعوة الى هذا الحفل عدد كبير من الادباء والساسة ، بينهم سعد زغلول ، ورئيس الوزراء يومذاك عدلي يكن ، ومحمد محمود ، ولطفي السيد ، وحافظ ابراهيم ، ومحمد حسين هيكل ، وعبد العزيز البشري ، وعبد القادر حمزه ، واحمد حافظ عوض، وحبيب المطران ، واكثر الــوزراء والنــواب والشيوخ ، واساتذة الجامعة ورجال الصحافة العربيــة والاجنبية ، وبعــض الشعراء والكتاب وموظفو دار المندوب السامي البريطاني لذلك العهد .. وبعض السيدات الهنديات وبينهن قرينة نجل تاجور ، ومدام سوارس ..

ووقــف الشــاعر شوقــي على باب الكرمة يستقبــل مدعويه، يعاونه نجله علي شوقي ، وصهره حامد العلايلي .. ووصل تاجور في منتصف الســاعــة الخامسة ومعه ابنه وزوجة ابنه وحفيدته ، وتبعهم بعض كبار الهنود المرافقين لهم ، يصحبهم حسين شوقي نجل الشاعر احمد شوقي..

وفي قاعات الدار صفت موائد الشاي الحافلة بالحلوى والفطائر ، وحولها فاخر الاثاث والرياش .. وجلس تاجور في صدر القاعة يحف به سعد زغلول وعدلي يكن ، ومحمد محمود .. وحولهم سائر الموائــد التــي تحلقها عشرات المدعوين .

واذ كان تاجور لا يلم الــى جانب لغــة البنغالية بغــير الانجليزيــة ، وشوقي لا يعــرف الى جانب العربيــة غير الفرنسية والقليل من لغات اخرى بينها الانجليزية ، فقد عهد الى الكاتب الصحفي توفيق دياب بالقاء كلمة شوقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالانجليزية ، فالقاها بصوته الرنان ..

ويقص توفيق دياب في عبارة طريفة ذكرى تلك الخطبة في حضرة تاجور (في مقالة له عن شوقي بمجلة الهلال في اكتوبر ١٩٤٧) - بقوله :

« ... فاذا دعا شاعر الهند تاجور الى حفلة تكريم في داره بالجيزة ، واجاب الدعوة الزعيم سعد زغلول رئيس مجلس النواب عامذاك بعد ان اعلن رحمه الله تأجيل الجلسة الى اليوم التالي، مشاركة لامير شعراء العرب في تكريم امير شعراء الهند ، وزخرت الدار بالنخبة الممتازة من رجالات مصر .. خاض شوقي صفوف الحاضرين حتى بلغ مكاني ، ثم همس في اذني ان انوب عنه في تحية الضيف الجليل باللغة الانجليزية ، في كلمة تشبه بالطبع ان تكون خطبة لان هذا الجمع الحافل يريد ان يسمع . ويكاد يسقط في يدي لهذه المفاجأة وتكاد قطعة الحلوى تقف محتجبة في حلقومي !! واذا بي اسمع سعدا يقول مخاطبا صديقه المرحوم محمد محمود : (قم يا محمد وحيي عن شوقي وعنا شاعر الهند بصوتك الرنان فانك في الانجليزية « كالبلبل » !) فيضحك محمد باشا ضحكته العالية المحببة ، ويتخلص تخلص الساسة من وقع المباغتة . ثم يقال لسعد ان فلانا سيتولى ذلك . فيتضاحك قائلا لصاحبه : « نفدت يا محمد ! » .. واقول ما يحضرني ، وينتهي الحرج ! »

وهاك خطبة الاستاذ توفيق دياب كما نشرتها الصحف اليومية في اليوم التالي عامذاك : - « ايها الشاعر والمفكر العظيم ! لقد شرفني شاعر العربية الاكبر ، بأن انوب عنه في بثكم تحياته وعميق شكره ، لاجابتكم دعوته بهذه الروح الاخوية الكريمة . وان شاعرنا ليعتبر داره هذه - التي تشرفونها الآن - ركنا متواضعا من الوطن العام للشعر والادب .. ونحن ايها الشاعر العظيم ، نشاطر اهل الهند، بل نشاطر اهل الشرق طرا ، اعجابهم بثمرات مواهبكم السامية . ونحن اذ نبدي هذا الاعجاب ، نذكر ان شاعر العربية الاكبر هو اول من راضنا على قدر الشعر والادب قدرهما الحق في اية لغة وفي اية امة تجل الشعر والادب..

«كثيرا ما يسمون مصر - الطريق الى الهند - والآن وقد سعدت هذه الطريق بمروركم ، فان شاعر العربية يضرع الى الله ان يجعلها طريق سلامة وكرامة للبلدين العزيزين : ديار مصر والهند !

« هذا ويرجو شاعرنا شوقي أن يتجه بالشكر - بالاصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن ضيفه العظيم الى حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول ، فان هذه الحفلة تكاد تكون اثرا من آثار الاريحية التي ابداها دولته نحو الضيف العظيم ومضيفه . كما يشكر حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا ، وحضرات المجتمعين جميعا على اجابة دعوته .

« وليس يفوت شاعرنا شوقي بك ان ينوه بذكر حقيقة جديرة بالذكر والتنويه . ذلك انه قل ان يؤجل انعقاد المجلس النيابي ، ولو بضع دقائق ، لتكريم احد من العظماء الاحياء مهما بلغوا من العظمة . ولكن مجلس النواب المصري بفضل دولة رئيسه الجليل واعضائه الموقرين راوا تأجيل المجلس ساعة ليشتركوا في تمجيد الشعر والادب في شخص ضيفنا العظيم .

(ثم اختتم الاستاذ توفيق دياب خطابه بتوجيه احسن التحيات الى السيدات الحاضرات من اسرة تاجور .) »

وعندئذ وقف تاجور وارتجل التحية الآتية بالانجليزية ، موجهة الى الشرق العربي :

« سادتي : اني سعيد ومغتبط بأن يدعوني الى هذا الحفل الزاهر ، شاعر ملأت شهرته الخافقين - شاعر مصر وشاعر العربية - شوقي بك - واني لاحسب وانا في مصر ان اثمن ما فيها من ذخائر هو شعر شوقي . وكم كنت اتمنى لو استطعت قراءة آثاره البارعة في لغتها الاصلية على اني سابذل ما في وسعي في اثناء اقامتي القصيرة بمصر لاحظى بنقل طائفة من شعره الى لغتي ، فأحملها هدية قيمة الى بلدي !

« وقد شرفني كثيرا مجلس النواب المصري ، ودولة رئيسه الجليل ، اذ اجلوا انعقاد المجلس بعض الوقت كي يحتفوا لا بشخصي ولكن بالادب . على انني اذ ابدي اخلص عبارات الامتنان على هذا العطف الكبير ، لا تدهشني هذه الروح . فبلدكم بلد شرقي هو مصر . وقديما كان الشرق مهبط الشعر ، ومهد الشعراء . وقديما كان الشرقيون اشد الناس احتراما للشعر واعزازا للشعراء .

« تلك ميزة الشرق المعنوية - وهي ميزته الكبرى - واني سأحمل الى بلادي مجموعة من نفائس الثقافة العربية، ينتفع بها المتأدبون من اهل بلادي .

« هذا وانا سعيد كل السعادة بهذه الفرصة المباركة التي أتاحها لي شاعر مصر الجليل . فأشكر له كرم شمائله، وأشكر لحضراتكم هذه الحفاوة التي سأحمل ذكراها على الدوام . واني لعلى يقين من ان ابناء وطني سيقدرون شريف عواطفكم نحوي قدرها السامي . سادتي : أفارقكم غدا او بعد غد . ولكن قلبي سيظل معكم ! »

وودع الوزراء والنواب الشاعر وانصرفوا .. فخلا المكان للشعر والموسيقا . وبدأ محمد عبد الوهاب يغني ومعه بعض الموسيقيين .. وانشد من شعر شوقي : « انا انطونيو .. » وغيرها .. وظل تاجور منصتا يهز راسه طربا .. فلما انتهى الغناء اعرب عن سروره بسماع الموسيقا العربية . وقال انها تشبه في كثير من نغماتها الهندية .. ثم اثنى على عبد الوهاب وصوته .

فقد كان تاجور ملما بالموسيقا والغناء، تعلمها على والده. وكان في صباه يرتل في المعابد ويأتي الناس لسماعه افواجا .. ثم الف ولحن المئات من الاغاني الهندية . ووضع النشيد الوطني الهندي المسمى « جانا جانا مانا » .. ومن مؤلفاته: « خمسون انشودة » و « اغاني » و « تسابيح » و « ثلاثة معازف » .. وغيرها .. وكثيرا ما القى شعره ملحنا في

صوت رخيم في خلال محاضراته بالمسارح .. وكان يعتبر الموسيقا صلة روحية تربط الانسان بخالقه كما تربطه باعمق العواطف الانسانية وخاصة الحب .. ويقول سفير فرنسي في الحفلة التذكارية التي اقامتها «جمعية تاجور في دلهي» - حين احتفلت الهند يوم ٨ مايو ١٩٥٠ بمرور ٨٩ سنة على مولده (عام ١٨٦١) : « لقد سمعت مرة تاجور يقول : « سيذكرني الناس عن طريق اغاني ، اكثر مما سيذكرونني عن طريق مؤلفاتي الادبية الاخرى » ..

وفي تلك الليلة (٢٩ نوفمبر ١٩٢٦) وقف تاجور على مسرح حديقة الازبكية بالقاهرة ليلقي محاضرته الثانية بمصر . وكان المكان قد غص بالجماهير .. وفي منتصف الساعة العاشرة ، كشف الستار ، ودخل شاعر الهند الى المسرح في خطى وئيدة ، ومن خلفه موكب الادباء ورجال الصحافة - جلسوا حوله في صفين - واعقب التصفيق صمت وخشوع .. ووقف لحظة ثم حيا الحاضرين بالتحية الهندية .. وظلت العيون تتأمل وجهه المشرق ولحيته الناصعة ، وعينيه الواسعتين العميقتين ، ورداءه الابيض الفضفاض المحلى باللون البرتقالي .. وارهفت الاسماع ..

وهنا نهض عميد الجامعة - الاستاذ لطفي السيد - رحمه الله - فقدمه الى الجمهور بكلمة وجيزة .. وبعد ان شكر الشاعر الشعب المصري على حفاوته ، كما شكر الشاعر شوقي على تكريمه ، اخذ يلقي محاضرته وكانت في جملتها كسابقتها التي القاها بالاسكندرية .. ثم تلا ايضا من الكتب الموضوعة امامه بعض قصائده بالانجليزية - ومنها مقطوعة « الطفل وامه » ثم عاد فرتلها بالبنغالية .. في صوت رخيم هز القلوب ..

واخيرا اقيم لوداع الشاعر حفل عام كبير مساء اول ديسمبر ١٩٢٦ بفندق « شبرد » بالقاهرة ، حيث نزل تاجور . وراس الحفل « وزير المعارف يومذاك » الاستاذ علي الشمسي .. ودعى اليه عشرات الادباء والمربين .. والقى الوزير خطبة باللغة العربية ، ترجمت الى الانجليزية .. ورد تاجور بخطاب باللغة الانجليزية ختمه بصلاة رتلها في صوت رخيم ..

واستهل الوزير خطابه بقوله :

« اسمحوا لي ايها السادة ، وقد اوليتموني شرف رياسة هذا الحفل ان احيي حكيم الهند العظيم وضيف مصر الكريم ، السيد رابندراناث تاجور . وان اعرب له عن اغتباطنا لزيارته بلادنا - هذه الزيارة التي اتاحت لكم ان تسمعوا خطابه النفيس الذي القاه امس الاول ، فسحر بقوة تعبيره السامعين اكثر من ساعة ، وجمع افكارهم تحت تأثير ما احتواه من فلسفة الهند وحكمتها . وما رتله باللغة البنغالية من مقطوعات شعره العالي ..

« وليست هذه المرة يوفقني الحظ فيها الى رؤيته . فقد حضرت له خطابا القاه في قاعة الحفلات بجامعة جنيف في ربيع سنة ١٩٢١ - اسمعنا فيها « رسالة الغابة » الشهيرة التي هي احسن ما اخرجته آداب الهند . ثم بعض قطع من « سدهانا » الحافلة بالحكم البالغة . وكان تأثير هذا الخطاب في سامعيه مثل التأثير الحسن الذي كان لخطابه امس الاول - تأثيرا شاركتهم فيه ، وزدت عليه ما شعرت به من الفخر عندما رايت الحفاوة والاجلال اللذين قوبل بهما هذا الشاعر الشرقي في اوروبا .

« واني لا اطمع - ايها السادة - في ان احدثكم عن الشاعر الكاتب الذي ترجم جزء كبير من مؤلفاته ودواوينه الشعرية الى عدة لغات اجنبية - ولا عن المفكر الديني والصوفي الحديث ، الذي ورد الحكمة من منهلها الصافي في كتب الهند المقدسة ، ولا عن الوطني الذي ارتسم في قلبه حب امته الكبيرة ، واخذ على نفسه ان يرسم لها طريق النهضة والتقدم . لان كل وجه من هذه الوجوه يحتاج الى شرح طويل لا يسمح به هذا المقام .. ولكنني لا يسعني الا ان اقول كلمة واحدة موجزة عن هذا المربى الذي حمل نفسه الم الاغتراب ومتاعب السفر البعيد ، وهو في سن تحتاج الى الراحة ، ليجمع المال الذي يستعين به على مواصلة التعليم في مدرسة « سانتي نيكيتان » التي انشأها ...

« انشأ هذه المدرسة وهو في سن الاربعين .. ولم يكن عارفوه يتوقعون ان يقدم على انشاء مدرسة ، وهو الشاعر المفكر الذي عاش بعيدا عن الحياة العملية ، يكتب في الادب وينظم الشعر .. ولم تكن له خبرة بأمر التعليم، وهو ما يعترف به حيث يقول في احدى محاضراته :

« قلت لكم اني عندما انشأت هذه المدرسة لم تكن لي اية خبرة بالتعليم . ولكنني في الواقع اكتسبت منذ تلمذتي خبرة سلبية عرفت بها ما يجب الا يعامل به الطفل ، وهو ما كان موضوع آلامي ، وكنت اتألم خصوصا مدة الطفولة من شعوري بأن التربية التي كنت اربى على نظامها في المدرسة ، لا صلة لها بالعالم . »

فالفكرة الاساسية التي بنى عليها نظام التعليم في مدرسته هي تحبيب الطبيعة الى الطفل ، واستبقاء الصلة بالدراسة بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه . وليس نجاح هذه المدرسة سببه الفكرة الاساسية التي بنى عليها نظام التعليم فقط ، ولكن حبه للطفل ، وميله الشديد الى خدمة امته ، بل الانسانية من هذه الطريق ، دفعاه الى تخصيص اكبر جزء من وقته لتحقيق هذا المقصد السامي .

قلت لحضراتكم ان السيد تاجور زار اوربا ، وكانت زيارته عقب الحرب العالمية التي صبغت ارضها بدماء الملايين من الرجال ، ودمرت جزءا كبيرا من كنوز الفنون والمعارف التي ادخرتها المدنية في مئات السنين .. فكان رسول سلام يدعو الى حب الانسانية ، واحترام الانسان لاخيه الانسان . كان يبشر في اوربا المسيحية بهذه المبادىء السامية التي كان يبشر بها عيسى عليه السلام .

وكان يسعى ايضا الى التقريب بين الشرق والغرب . فمصر وهي من الشرق ، ومن اقرب بلاده الى الغرب ، يسرها عظيم السرور ان تكون على صلة علمية بالهند ، وان تكون احدى حلقات ذلك الاتصال الشرقي الغربي ..

هي امنية يسرني ان الفرصة اتاحت ابداءها امام ضيفنا الكريم . وارجو ان تتحقق في منفعة العالم الانساني جميعه . وقبل ان اختتم كلمتي ، اكرر التحية للشاعر الكبير الذي كنا نتمنى ان تكون اقامته بمصر اطول من هذه الزيارة القصيرة . وارجو له سفرا سعيدا ، وعودا الى وطنه محمودا . »

(وقد طلب الشاعر نسخة من خطبة الوزير بالعربية وترجمتها بالانجليزية، التي تليت بعدها فطبعت النسختان، وارسلت اليه نسخا منها)

ووقف تاجور والقى الخطبة التالية في فندق «شبرد»:

« سيداتي ، سادتي : اشكر صديقي وزير المعارف ، واشكركم على هذه الحفاوة ، وآسف ان لا استطيع الكلام بينكم بلغتي القومية كما تكلم صديقي . فعسير ان يؤدي الانسان ما في اعماق عواطفه بغير لغة اهله !

« اذكر اني لما سافرت الى الصين ، احتفل بي اهلها . ومما يسرني ان اوضاع الحفلة،قضت بأن يلبسوني ملابس سفراء الصين ، وان يقيموا عيد ميلادي ، وان يقيدوني شاعرا صينيا ! ذلك لاني وان كان مولدي بالهند ، ولغتي غير لغة الصينيين ، فقد سبقتني كتبي . وسبقني شعري اليهم . واشعر الآن بينكم ، وقد قرأ كثير منكم كتبي مترجمة ، اني استطيع ان اعتبر نفسي شاعرا مصريا ايضا . ولقد وفقت في سياحتي اكثر مما وفق غيري . فزرت كثيرا من ممالك الشرق والغرب لم تتم لكثير غيري زيارتها . وفي هذه الممالك جميعا ، وجدت من آثار كتبي وشعري ما سرّني . فهذه الآثار خير ما يكافأ به شاعر .

وقد اشار صديقي بان اكون واسطة تفاهم بين مدنية الهند ومدنية مصر . واني اقابل هذه الوساطة لنشر فكرة اعتقدها سبيل السلام . فقد اسرفت الامم في الاثرة والانانية وفي العصبية الجنسية التي يتمسك بها فريق كبير من اهل الامم المتحضرة . على ان هذه العصبية اكبر مظاهر ضعف المدنية الحاضرة ، فهي التي تجرّ الامم الى التطاحن لنيل غاياتها . وهي التي تثير بينها حروبا مهلكة ما كانت لتقع لولا هذا التعصب وتلك الاثرة . وما اشك مطلقا في انه قد وجدت امم من قبل وبادت . افنتها الحروب في سبيل اغراضها . وما تزال الآن في مجاهل افريقية امم تسير في طريق الفناء لأخذها في حياتها بهذه الخطة . ولئن كان هذا ممكنا تصوره يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تفصل بين الامم ، وتجعل كلا تعتز بكيانها ، وبجنسها ، وتجعل من لون اصحابها وسيلة لحرب من كانوا من لون آخر . فلم يبق لهذا التصور اليوم مكان بعد ان اصبحت الحدود الطبيعية لا حقيقة لها لاسباب اهمها تقدم المواصلات والتمازج العقلي بين الامم . لذلك يجب ان تزول الاثرة ، وان يزول التعصب للجنس، والتعصب للون . ويجب ان يشعر العالم ان هناك وحدة روحية تربط امه المختلفة . ومن حسن الحظ اني رايت اثناء سياحاتي في البلاد المختلفة ، كثيرا من الرؤوس الكبيرة ، متفقة واياي في الراي ، واثقة كما اثق بأن سياتي اليوم الذي تسود فيه هذه الفكرة الشعوب جميعا ، بل لم يقف الاقتناع عند الرؤوس الكبيرة . فقد احتفل بي في بلاد عدة كثير من البسطاء لانهم احسوا في كتاباتي الدعوة لهذه الوحدة الروحية التي تصبو اليها نفوسهم ، والوسيلة لقهر الانانية ، ولزوال التعصب الجنسي،ليست هي الحديد والنار ، وانما هي انتشار الافكار السليمة بين الشعوب ، وسعيها جميعا لادراك الحقيقة . فهذه الحقيقة ــ الحقيقة المجردة ــ الحقيقة المطلقة ، يجب ان تكون غاية الغايات لكل شاعر ، ولكل مفكر ، ولكل فيلسوف ، وغاية الغايات للانسان الكامل . ويوم ياتي الوقت الذي يعمل فيه كلّ لمعرفة الحقيقة ، فاذا رآها لم يتردد في اعلانها. يومئذ يكون الانسان قد وصل الى الكمال . وفي هذا اليوم يتم السلام على الارض . نعم ، فالسلام لن يترتب على عمل صناعي مطلقا كالاتفاقات الدولية وما اليها . انما الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي الوحدة الروحية . واحس ان هذه الوحدة بدأ في العالم ظهورها » ..

ثم قال : « وختاما لهذا الحديث ارتل حكمة غالية من احد كتبنا المقدسة » .

(وهنا اطرق الشاعر ، ورتل صلاة باللغة البنغالية ، منظومة في شعر . وكان صوته الرخيم يصل الى اعماق القلوب ... وقد نقلها بعد ذلك الى الانكليزية . ومعناها:

« رب الارباب ، واله البشر جميعا :
تنزهت عن كل لون وجنس !
يا مهيمنا على جميع الامم ، وان اختلفت الوانها :
وحّد بين قلوبها . والهمها تبادل المحبة ..
وايدها بروح الحق والعدل !

وبرح تاجور القاهرة يوم الخميس ٢ من ديسمبر ١٩٢٦ الى بور سعيد ليستقل منها الباخرة الى الهند ــ عائدا الى وطنه بعد تلك الغيبة الطويلة التي استغرقت الشهور الطوال قضاها في الدعوة الى المحبة والوحدة والاخاء والسلام .. (٤)

وقد كلف رسميا بصحبة تاجور ، الشاعر المعروف المرحوم احمد زكي ابو شادي ، في اثناء زيارته لمدينة بورسعيد .. ورحل تاجور وعاد ابو شادي لينشر ذلك الانطباع الذي خلفته في نفسه صحبة الشاعر في مقالة له (بمجلة « الزهراء » عامئذ ، وفي الجزء الاول من كتابه « مسرح الادب ») ثم قال ابو شادي :

« ما استمتعت مرة بقراءة « خطبة الجبل » للسيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى سامي الشوا

الى امير الكمان سامي الشوا بمناسبة المرض الذي هده واقعده .

ايها المبدع الحان الكمان
يسمع الليل لياليك الحسان

ايها المنطق اغصان الشجر
فيكاد الليل يصغي للوتر

اصبع الفنان في راحتكا
تسحر الكون وتشجي الفلكا

تتلقى الوحي من عليا الجنان
ويسيل الحب منها والحنان

لست أنساك على مر الليالي
رحم الله لياليك الخوالي

تبعث البهجة في الليل الطويل
لم تزل غراء كالصبح الجميل ! !

ايها اللاعب بالقلب ! ترفق
خشب الروض على كفك ينطق

نحن « يا شوّاء » من لحم ودم !
يملأ الارض بعلوي النغم

كم تلاقينا بليل حافل
يلتقي اللحن بلحن القائل

لك عذب الشدو ، والشعر لنا !
فيحيل الليل ضوءا ، وسنا!

ايها الآسر لب المشرق
آه لو نصبح يوما نلتقي

ايها الساحر عقل المغرب !
كلقانا في الزمان الطيب !!

يوم ان كنا على الدوح معا
يشتهي الكون لنا ان يسمعا

قد طرحنا همنا عن كتفينا
ويكاد الليل ان يصغي الينا

في النوادي والليالي الساهره
ههنا الدنيا ، بحضن القاهره

حيث «يا سامي» التقاءات العروبة
وطن الاحرار ، والارض الخصيبه

والكمان العذب في همسته
حينما تأخذ من لمسته

يفضح السر عن العشق الدفين!
فهو في كفيك انسان مبين ..

فيه من كل المعاني ما نشاء
فيه ظلم الارض او عدل السماء

فيه معنى الليل ، والصبح المنوّر
حينما يسمعنا : الله أكبر ! !

القاهرة — **محمد عبد الغني حسن**

المسيح عليه السلام ، وهي في رايي لب تعاليمه النورانية، الا تخيلت صورة جميلة لطلعته ، وصوته ، ونفسيته الحلوة ، وكاني سعدت برؤيتها عينا سنة ١٩٢٦ حينما كلفت رسميا بصحبة الشاعر العالمي « رابندرانات تاجور » في اثناء زيارته بمدينة بورسعيد .. فان نفسيته الحلوة وصوته الحنون ، ووجهه المشرق ، انطبعت في ذهني وفي قلبي انطباعا قويا حبيبا ، لا يمكنني ان انساه ما حييت .. وسمعته يقول :

« ان مفسدة العالم في الانانية الاستقلالية . اذ لو ادرك كل انسان انه في الواقع اعظم من ان يحد بجسده ، وانه متصل باخوانه في الانسانية ، لعطف عليهم العطف كله ، واحس باحساسهم ، ولنفى البغضاء والتحاسد ، والميل الى النزاع والشماتة من نفسه » .

الاسكندرية — **نقولا يوسف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخـــي ...

علام تشيح بوجهك عني اذا ما التقينا بعرض الطريق
وحينا تحدق عيناك في كأني عبد بسوق الرقيق
فما كنت يوما مسيئا اليك وما كنت يوماً مضيع الحقوق

* * *

زرعت لك الارض شتى الثمار فأنت بها فاكه لا تريم
اقوم عليها بياض النهار واحرسها في الظلام البهيم
وكم لطمتني رياح الشتاء وكم صفعتني رياح السموم
فآبت يداي بسد الكفاف وآبت يداك بغنم عظيم
وما ان حقدت وما ان حسدت وقلت : مشيئة رب حكيم

* * *

وهذا بناؤك قد شيدته يداي على سابحات الغيوم
تخيرت احجاره زاهيات لآلىء تضحك فيها النجوم
تقوس ظهري لطول انحناء وهرّأ كفي طين غشوم
وكان نصيبي اني بقيت بكوخ حقير أقاسي الهموم
وكان نصيبك جنات عدن تفيأ فيها ظلال النعيم
وما ان حقدت وما ان حسدت وقلت : مشيئة رب رحيم

* * *

وهذا الرداء الذي قد لبست كساك جمال الشباب النضر
تميس به ميسان الربيع تألق غب سحاب مطر
اطاف بجسمك حلوا أنيقا اطافة برعم ورد عطر
جعلت سداه ضياء النجوم ولحمته من شعاع القمر
وعشت أنا في زري الثياب تمزق معظمها واندثر
وما ان حقدت وما ان حسدت وقلت : مشيئة حكم القدر

* * *

وهذا حذاؤك تختال فيه يكاد سناه يزيغ البصر
ظللت مكبا عليه النهار وفي الليل طال علي السهر
انسقه قطعة قطعة واحكم فيه غراز الابر
الى ان تكامل بين يدي مثال الجمال وملهى النظر
مشيت به مشية الكبرياء وانعلت رجلي الثرى والحجر
وما ان حقدت وما ان حسدت وقلت : مشيئة حكم القدر

* * *

الام تظل اخي تستبد بأمري كأني عبد حقير
فلا اتلقى كريم الجزاء ولا اتلقى ثناء الشكور
اخاف اذا ما اطلت التمادي جنون فؤادي المحب الصبور
فيذهب ما بيننا من اخاء وتعوي المنايا وتصحو القبور

عمان **عبد الرءوف اللبدي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان

يعلم انها جالسة الى النافذة الغارقة في ضباب احلامه . فقد تعود ان يحس بطيفها الغامض ، متهاديا في ظلال الستارة الزرقاء ، منصتا لهمسات النسيم كلما مر امام بيتها في الامسيات .

وبيتها ذاك الذي كان يقع في حي بعيد عن منطقته ، عرفه وعرفها فيه بمحض الصدفة ، ذات يوم . حينما كان يستفسر عن منزل زميله « ابي خليل » الموظف المتزوج الذي دعاه الى زيارته . وكان ابو خليل قد وصف له موقع منزله وصفا مبتسرا فاضطره لان يقف حائرا ، امام بابين لا يدري ايهما الباب الذي يقصد . والقدر كثيرا ما يضع الانسان امام الابواب المغلقة المتشابهة التي يكمن وراءها المجهول .

لم يتردد طويلا ، بل طرق احد البابين طرقتين خفيفتين . وما لبث قليلا حتى احس بحركة غير بعيدة ، كانت صوت ازاحة ستائر ، راى اثرها انفراج مصراعي احدى النافذتين المحاذيتين للباب الذي قرع ، ومن الظل الباهت الذي تسبح فيه تلك النافذة ذات الستائر الزرقاء اطل وجه ملائكي متسائلا : مين ؟؟..

فتاة بعمر الزنبق النضر الفواح . انسدل شعرها الاسود الفاحم فوق كتفيها جدائل « تغيب في الظن ولا تنظر » ... وانبعثت احدى ذراعيها من كم ثوبها الوردي البسيط عارضة استدارة في الخطوط ونضارة في اللون ، منبئة عن جمال وسحر .

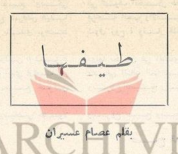
— « مين ؟؟.. »

.. اي صوت حنون تحمله هذه العذراء الفاتنة ؟ الا يغار منه الكمان في انينه المتأوه ، والناي اذ تتسلل منه انفاس نافخه ؟ .. وعيناها العجيبتا البريق ... وفمها العنابي الدقيق ، وخداها الصفيران الزاهران .. ووجهها الرائع الاخاذ .. اليس السحر بعينه قد اطل ؟

قال ، وهو يحس بوجيب قلبه يسرع ككلماته التي القاها وجلا حينذاك ..

— ابوخليل موجود ؟.. اهذا بيت ابي خليل ؟.. قالت ، وعلى شفتيها طيف ابتسامة خجلى وفي خديها احمرار بدا واضحا : لا ليس هذا بيته ، انه البيت المجاور . وبقيت انظارها متعلقة به ، فاضطرب وتحرك من مكانه مغمغما « شكرا » بصوت غير مسموع ...

ومنذ ذلك النهار بدا حي صديقه ابي خليل يتلقى زيارات ذلك الشخص الناحل الغريب في الامسيات حين تزحف الظلال الكئيبة على بيوت المدينة المتراصة بعد عناء يوم طويل.



بقلم عصام عسيران

ARCHIVE
http://Archive.beirut...

لم يكن يعلم من هي صاحبته تلك.. فهو لم يجرؤ على الاستفسار عنها من صديقه ... لكن صورتها ملأت سماء مخيلته حيث يحلق على اجنحة الحلم ... كلما ضمه الظلام في ليله الارق الطويل الثقيل ... وكثيرا ما استفاق من احلامه على انين تصعده نفسه المعذبة . فينظر حينئذ الى المدينة اللاهية من نافذة غرفته ، حيث يعيش وحيدا منذ عشر سنوات وتتدحرج من مآقيه دموع ساخنة ، هي عصارة قلبه المتوحد المحروم .

اجل ، انه لا يزال هنا في غرفته الحائلة اللون ، منذ ان رماه القدر في هذه المدينة الصاخبة ، موظفا في احدى الدوائر الحكومية ، من عشر سنوات او اكثر .. من يوم ان ودع امه العزيزة الى جوار ربها في قريته البعيدة الغارقة في شمس الجنوب .

غادر قريته تلك تاركا فيها اخويه الكبيرين المتزوجين ، حاملا معه آماله العراض ومبلغا من المال ... ثم حط رحاله في المدينة الكبرى الصاخبة التي طالما ابتلعت قرويين من امثاله غير آبهة لمجيئهم ورحيلهم . لم يعد يرى اخويه هذين منذ نكبته بوالدته، فقد سلاهما وسلواه ، وانقطعت اخبار كل طرف منهما عن الاخر ، ولم يسعيا او يسع هو الى اعادة الصلة القديمة تلك الصلة التي لم تكن في يوم من الايام طيبة مطلقا .

عاش في القرية مع امه ، وكان والده قد توفاه الله قبل زمن بعيد ، فعاشا وحيدين في المنزل الريفي العتيق الذي توارثته الاسرة ابا عن جد . اما اخواه فقد تزوجا في مطلع شبابهما مبكرين على عادة اهل القرى، وانصرفا الى العمل في الارض الطيبة، بينما خص هو وحده بالدراسة والتحصيل العلمي في مدرسة احدى القرى الكبيرة المجاورة لقريته .

كانت حياته النفسية منذ طفولته متصلة أوثق اتصال بنفسية والدته الحنون . وكان يثق بامه ثقة عمياء ويحبها ويجلها ، ايما حب واجلال . ولكم الحت عليه بالزواج من ابنة خالته هيفاء ... ولكنه استنكر واحتج بمختلف الحجج ثم رفض . ولطالما حدثته عن ابنة ام محمود جارتهم .. فاستكبر وشمخ بانفه . ولم يكن كل ذلك في الواقع انفة واستكبارا ، بل كان شعورا مبهما غامضا بالخوف ... الخوف من اغضاب امه ذات العاطفة المرهفة والحنان العميق، باشراك امرأة اخرى بمحبته الروحية الخاصة بها . وهو شعور طاغ عجيب ، كان يومذاك ينكره اشد الانكار بينه وبين نفسه ، ولكنه



مرفأ .. اضاء بالحب

هل تظنين انني حين امضي ... في طريقي ، وانت في الباب شعله
هل تظنين انني لا ابالي ... وبعينيك عنف طير ونحله
هل تظنين ؟ يا لجرح ابائي ... يا لحب يضيء لي الليل كله

أنت في القلب نغمة وحنين ... وشفاه كألف لون وقبله
انت لي المرفأ الامين ، وقلبي ... ما تريثت في طوافي قبله
انت لي الافق والنجوم وصمتي ... واكتئابي مع الليالي المله
وارتياحي الصبور عبر شعاب ... من وجوه تشد للصخر ظله
انت يا نجمة الحنان بعمري ... لا تظني بي الظنون المذله
كم تلمست ان اراك واخفيت اشتياقي والشوق يحطم غله

قربي وجهك الجميل لعيني ... وانظري فيهما الخيال المؤله
فيهما انت كنه غاب عبير ... وصدى جاء من غيوب مطله
ليتنا مرة نضيع ونبكي ... في كهوف الجبال طفل وطفله
وتغني الشموع ترقص فينا ... فرحة الحب والاماني المهله
والظلام العميق يندى بوجد ... شوق روح ، ونار قلب تدله

ليتنا .. ليتنا ولكن « ليتنا » ... دونها نحن في الشموس المغله
اقطع الدرب لست ابدي ارتعاشي ... وعلى الباب انت شوق مدله
وبقلبي يضيء دمع حزين ... وبروح تصيح ريح : توله

« ليتنا » برغم سيفني حقولا ... وبروح تصيح ريح : توله

اعزاز - سورية ... صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليوم ، بعد كر السنين ، يقره بذلة وخضوع .

احب هيفاء ابنة خالته من كل قلبه . ولكنه اخفى عاطفته تلك عن امه ومحبوبته اخفاء المجرم لفعلته المنكرة عن الناس . وحين توفيت امه بكى قلبه كثيرا ... ولكنه سرعان ما واسى نفسه حينما عاهدها على قبر امه المضمخ بدموعه بان يبقى وفيا لحنانها وعطفها مادام حيا .

والان ، اتراه قد بدأ ينكث ذلك العهد بتطلعه الى هذه الفتاة المجهولة؟ ولا تراه يزعم بأنها المرة الاولى التي تاق فيها لامراة او فتاة . لجسد امراة .. للقبلات المحمومة والدفء الانثوي ؟ الا ان اشتياقه ذاك ما كان قط متجها نحو فتاة بالذات .. فكان اوهن من ان يهبط من معارج الاحلام ، حيث تعيش نفسه المتعبة، الى معترك الحقائق ، حيث يتعثر جسده المحموم . انه في هذه المرة يتوق لواحده منهن جميعا .. ولكن طيف امه يعاوده ايضا . فتحدثت نفسه « ويلاه .. هل سأبقى اذن طول حياتي بدون رفيق؟؟» وصرخت كل جارحة فيه « أنت مجنون ... انت مجنون ... ولو لم تكن كذلك لما بقيت هكذا ، وحيدا مع خيالاتك واوهامك حتى نيف عمرك على الاربعين ، تعيش ليلك وتغمض في نهار الناس عينيك وقلبك .. » .

واندلع الالم يلهب قلبه، والحسرة تعصف بروحه التائهة فتذرها اشتاتا .. « يا الهي .. هلا رددت على بعض شبابي المضيع يا ربي يا رحيم .. .لاكون اهلا لحب فتاتي التي احببت ، فتاة بعمر الزهور الندية المتفتحة للنور .. » واها على النادم ... اذ يأتيه الندم متأخرا جدا .

... كان يعلم انها جالسة الى النافذة الغارقة في ضبا باحلامه . فقد تعود ان يحس بطيفها الغامض، متهاديا في ظلال الستارة الزرقاء ، منصتا لهمسات النسيم ... كلما مر امام بيتها في الامسيات ... وما اكثر ما بات يمر .. في الامسيات .. مسددا نظره دائما الى الامام غير ملتفت الى النافذة ذات الستائر الزرق ... ويشهد الله انه ما رآها غير مرة واحدة في يومه ذاك البعيد ... وما كان يهمه ان يراها من جديد .. يكفيه طيفها الجميل ، تصوغه له نفسه الاخرى ، انه انما يعشق الاطياف .

الكويت ... عصام عسيران

فن الرواية

بقلم سومرست موم

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

لا بد لي ، استهلالا ، ان احدث القارىء عن كيفية وضع هذه المقالات (١) ففي ذات يوم بينا كنت في الولايات المتحدة ، طلب الي محرر (ريدبوك) ان اضع قائمة تتضمن خيرة عشر قصص عالمية ، على حسب رايي الشخصي .

طبيعي ان الاعتباط قد تدخل في وضع قائمتي تلك . و (مصداق ذلك) انني كنت قادرا على تصنيف عشر اخر لا تقل جودة عن تلك التي اخترتها . كما كان في مستطاعي ان اقدم اسبابا وجيهة لانتقائي لها . اكبر الظن انه اذا ما قدر وطلب الى مئة شخص من المطلعين والمثقفين ثقافة وافية مبادرة العمل على تنظيم قوائم كتلك التي نظمتها لما قل عدد القصص عن مئتين او ثلثمئة . ومع ذلك ، فمعظم القصص التي اخترتها ستجد لها مكانا في القوائم كلها ، على ما اظن ، واختلاف الراي ـ في هذا الشأن ـ مفهوم . فثمة اسباب مختلفة تجعل قصة معينة ذات اثر جذاب في شخص ما ، الامر الذي يحمله حملا على ان يعزو لها فضلا بارزا ، على الرغم من سداد احكامه وصوابها . فهو ، ربما قرأها ، في حين من الزمن ، او في ظروف خاصة صيرته قابلا للتأثر بها ، او لعل لموضوعها او تكوينها (القصصي) اهمية غير اعتيادية بالقياس اليه ، نظرا لصلاته الشخصية ونزواته الذاتية .

وفي قدرتي تصور انسان عاطفي مدنف الحب بالموسيقى ، فهو ، على اكبر الاحتمال ، سيضع (موريس غيست) لهنري هاندل رتشاردسن بين احسن القصص العشر .

كما ان مواطنا من (القصبات الخمس) (٢) انطلاقا من سروره بالولاء الذي محضه ارنولد بنيت (لهذه القصبات) ـ وفي وصفه لخصائصها وشخوصها ـ سيضع (حكاية الزوجات العجائز) بين خيرة القصص . ومع جودة القصتين ، فليس لهما مكان بين العشر ، ان نحن صدرنا عن احكام غير متحيزة . لا شك ان جنسية القاريء (من حيث ولائه الوطني والقومي) تضفي على بعض الاعمال الادبية نوعا من الاهتمام مما يحدوه الى ان ينسب لها عظمة تتجاوز رقعتها منطقة الاعتراف بها عامة .

كان الادب الانكليزي منتشرا انتشارا واسعا في فرنسا ، خلال القرن الثامن عشر . ومنذ ذلك الحين والى عهد قريب ، لم يعد الفرنسيون يهتمون بما يكتب خارج حدودهم . وعلى هذا ، فلا اظن فرنسيا ما سيذكر (موبي دك) في قائمة مماثلة لقائمتي ، لكنه سيضم اليها (الكبرياء والهوى) لو اوتي من الثقافة قدرا رفيعا . انه ، ولا شك ، سيضم اليها (اميرة كليف) لمدام لافايت . وهذا منحى صحيح ، لان فيها ما فيها من ميزات بارزة . القصة قصة عاطفية نفسية ولعلها الاولى من نوعها . اما ماجرياتها فمثيرة وكذا شخوصها فواضحة المعالم . وهي مكتوبة باسلوب ممتاز بالاضافة الى ايجازها المحبب . تعالج (القصة) وضعية اجتماعية معروفة جيدا لدى كل تلميذ في فرنسا ، وجوها الاخلاقي مألوف لديه من قراءته لكورني وراسين ، اما سحرها الاخاذ فموصول الجوانب بفترة من التاريخ الفرنسي ، هي أكثر فتراته ازدهارا بالمجد والعظمة ، وهي اسهام جدير بالعصر الذهبي في الادب الفرنسي . بيد ان القارىء الانكليزي قد يحسب شهامة ابطال القصة شهامة تتجاوز نطاق البشرية ويظن حوارهم متعجرفا وسلوكهم غير معقول . انا لا اقول انه مصيب في ظنه هذا ، لكنه لن يضع هذه القصة الرائعة في مصاف احسن القصص العشر في العالم .

وفي تعليق وجيز على قائمة الكتب التي وضعتها لـ (ريدبوك) كتبت ما يلي : « القارىء الحكيم سيحصل على اعظم متعة من قراءتها اذا هو تعلم فن المطالعة المفيدة . »

والانسان المتزن لا يقرأ قصة بصفتها واجبا . انما يقرؤها باعتبارها تسلية ، وهو في الوقت نفسه مستعد للاهتمام بشخوصها وكيف يتصرفون في الظروف المعينة وما يحدث لهم ، فتراه يشاركهم وجدانيا في متاعبهم وفي افراحهم . انه يضع نفسه في مكانهم والى حد ما يعيش كما يعيشون . اما نظرتهم الى الحياة ، وموقفهم من موضوعات التأمل الانساني العظيمة ، سواء أعرضت في كلمات ام في اعمال وتصرفات فهي تثير اعجابه او سروره او غضبه . لكنه يعلم غريزيا اين يكمن اهتمامه فيتعقب اثر ذلك كما يتعقب كلب الصيد رائحة الثعلب . وبسبب من خيبة المؤلف يفقد الاثر احيانا . فيتعثر ويتخبط حتى يجده من جديد . انه يقفز من مكان الى آخر .

كلنا ينط ويقفز ، الا ان القفز دون تعثر ليس بالامر الهين . قد يكون ذلك هبة من الطبيعة ، على ما اعلم ، او شيئا يمكن نياله من طريق التجربة . وهذا ما كان يفعله الدكتور جونسن بعنف وقوة وهو ما يحدثنا به بوزول قائلا: « كانت لديه (يعني جونسن) طاقة خاصة ، في اغتنام كل ما هو ثمين من اي كتاب ، بغير استسلام منه لمشقة متابعته من اوله الى آخره . » كان بوزوك يشير بدون شك الى الكتب التثقيفية والتهذيبية بقوله ذاك . و (هذا ينطبق) على مطالعة القصة ايضا ، فأن غدت هذه المطالعة مشقة

(١) مقدمة كتاب (عشر قصص وواضعوها) لسومرست موم

(٢) منطقة من مناطق انكلترا ، المترجم .

فالخير في تركها وتجنبها . ومن سوء الحظ ، لاسباب سأذكرها عاجلا ، ان قصصا قليلة يمكن مطالعتها من البداية الى النهاية باهتمام غير منقطع . وبالرغم مما يشوب التنقل (من قصة الى اخرى) من عادة رديئة الا انه مفروض فرضا على القارىء الذي اذا ما تعود على التنقل صعب عليه التوقف وبذا يفقد كثيرا من فوائد القراءة .

وبعد مضي بعض الوقت على ظهور قائمتي التي عرضتها على (ريدبوك) قدم لي ناشر امريكي اقتراحا ، باعادة اصدار القصص العشر في طبعة موجزة ، مع مقدمة لكل منها بقلمي . كان رايه يتلخص في تشذيب كل نوافل القول وذكر الضروري مما ينبغي للمؤلف ذكره ، مع عرض افكاره الرئيسة ، وشخوصه التي ابدعها ، كي يتمكن القراء من مطالعة هذه القصص الرائعة . وهكذا لا يتبقى من هذه (الكتب) الا ما هو ثمين جدير بان يتمتعوا به في سرور ثقافي عظيم . جفلت لاول مرة (من هذا الامر) لكني بعد تأمل وامعان وجدت بعض الناس استحوذت عليهم عادة التنقل في القراءة بما في ذلك من فائدة ، شأنهم في ذلك شاننا، ووجدت غيرهم عاجزين عن الجري في هذا المجرى. فاستحسنت ان يقوم شخص حصيف الراي قوي التمييز بهذا الدور نيابة عن العاجزين . وهذا هو سبب ترحيبي بكتابة مقدمات لهذه القصص فشرعت في العمل . بعض دارسي الادب والاساتذة والنقاد ، يسوؤهم ابلغ الاساءة بل يرعبهم تشويه عمل ادبي رفيع ، وهم يرون ان العمل الادبي ينبغي ان يقرا كاملا غير منقوص كما كتبه المؤلف . وهذا (في رأيي) يعتمد على العمل الادبي نفسه ، فلا اظن في الامكان حذف صفحة واحدة من قصة اخاذة كـ(الكبرياء والهوى) او من (مدام بوفاري) ذات الحبكة المسبوكة سبكا محكما . (وبهذا الشان) يقول الناقد الحصيف جورج سانتسبري : « القليل النادر من القصص يحتمل التكثيف والتركيز كما هي الحال مع قصص دكنز . » وعلى ذلك ، فلا تثريب ولا لوم على البتر والقطع . لقد كان من صالح الكثير من المسرحيات بتر القسم الاعظم او الاقل منها حين القيام بالتمرينات التمثيلية . وذات يوم منذ العديد من السنين كنت انا وبرنارد شو نتناول الطعام معا فقال : ان مسرحياته تلاقي نجاحا في المانيا اكثر من نجاحها في انكلترا فعزا ذلك الى غباوة الجمهور البريطاني وذكاء الالمان . وقد كان على خطأ . لانه ، في انكلترا اصر على عدم حذف حرف مما كتب . اما مسرحياته في المانيا فقد رايتها ، وهناك عمل المخرجون على تشذيبها تشذيبا لا رحمة فيه من اللغو غير الضروري للعمل المسرحي وبذا امتعوا الجمهور امتاعا . على كل حال لم ار من المناسب ان اقول له ذلك . ولا ارى مبررا بين القصة وبين الانصياع لمثل هذه العملية .

تطرق كولريدج الى (دون كيشوت) وعدها كتابا يمكن ان يقرا مرة واحدة ثم يغطس فيه ان اعيدت الكرة ، ولعله عنى بذلك ، اجزاء عديدة من ذلك الكتاب فهي مملة وسخيفة ، ومتى ما اكتشف الامر ، اصبحت قراءته مضيعة للوقت . ومع ذلك فهذا كتاب مهم عظيم ، وعلى كل دارس من دارسي الادب ان يقراه من الدفة الى الدفة . (وقد فعلت ذلك مرتين بالانكليزية وثلاث مرات بالاسبانية .) بيد انني اتصور حال القارىء الاعتيادي الذي يبحث عن المسرة فهو لن يخسر شيئا اذا لم يقرا الاجزاء المملة برمتها. وهو سيستمتع بالتوكيد بالمخاطرات والمناقشات الدائرة بين الفارس النبيل وخادمه . وقد جمع ناشر اسباني هذه الاشياء في مجلد واحد وجعل منه معينا للقراءة الجيدة .

وثمة قصة اخرى مهمة بدون شك ويمكن عدها عظيمة بتردد ، وهي قصة (كلاريسا) لصموئيل رتشاردسن ، القصة التي تدحر باطنابها كل القراء الا أعندهم واشدهم اصرارا . اعتقد باني لم اكن لاقراها لو لم اجد نسخة موجزة منها بالمصادفة . كان الايجاز من الاحكام بحيث لم اشعر بفقدان اي شيء .

معظم الناس ـ على ما ارى ـ يعترفون بان (البحث عن الوقت الضائع) لمارسيل بروست هي اعظم قصة انتجت في هذا القرن . وكل المعجبين المتعصبين لبروست ، ومنهم انا ، يستطيع قراءة كل كلمة (من كلمات القصة باهتمام ، وفي ساعة من ساعات الغلو قلت : يسعني قبول الضجر (من بروست) فهو افضل عندي من الامتاع لدى غيره . لكني الآن ، بعد القراءة الثالثة ، اعترف باختلاف مستويات أجزاء الكتاب من حيث الجودة والجدارة .

والمستقبل ـ على ما اظن ـ لن يعنى هو نفسه بالتاملات الشاذة التي تتمثل في فصول كثيرة الاطناب كتبها بروست بتأثير الافكار السائدة في وقته ، هذه الفصول التي اصبح قسم منها مبتذلا والقسم الآخر غير ذي موضوع . وعندئذ سيكون واضحا اكثر من الان ان بروست يمكن وضعه في صف واحد مع بلزاك ودكنز وتولستوي لكونه ساخرا عظيما أبدع شخوصا اصيلة حية مختلفة . وقد يأتي يوم يختصر فيه هذا العمل الادبي الهائل فتحذف منه فصول عراها الزمن من اهميتها وتبقى تلك التي هي جوهر القصة لما فيها من قدرة على البقاء. ومع ذلك ستظل قصة(البحث عن الوقت الضائع) قصة طويلة جدا من غير فقدان لعظمتها . وعلى قدر استطاعتي استخلصت شيئا من كتاب (البحث عن مارسيل بروست) المعجب لاندريه موروا على ما في روايته من ارتباك وتشوش . ومع ذلك : كانت نية المؤلف (يقصد بروست) نشر قصته في ثلاثة مجلدات كل منها باربعمئة صفحة . كان المجلدان الثاني والثالث في المطبعة عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى فتوقف النشر. لم تسمح صحة بروست الضعيفة له بالخدمة في الحرب ، فاستخدم ذلك الفراغ الكبير الذي واتاه لكي يضيف (مادة) هائلة الى المجلد الثالث . يقول موروا « الكثير من الاضافات

دراسات نفسية وفلسفية . وفيها يعلق العقل (اعتقد انه يقصد بذلك المؤلف) على تصرفات الشخوص . ثم يستطرد قائلا : « يستطيع المرء ان يجمع منها سلسلة من المقالات على طريقة مونتيني : عن دور الموسيقى ، الجدة في الفنون ، وجمال الاسلوب ، والنماذج البشرية القليلة العدد ، والحذق في الطب . . . » هذا صحيح . لكن هل في هذه الاضافات ما يزيد قيمة القصة اهمية ؟ يعتمد ذلك – على ما اعتقد – على ما تحملونه من آراء عن الوظيفة الرئيسية للشكل (الفني) .

وفي هذا الشأن يختلف الناس باختلاف آرائهم . وقد كتب هـ. ج ويلز مقالا مهما عنوانه : « القصة المعاصرة » جاء فيه قوله : « هي (يعني القصة) الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها يمكننا مناقشة اكثر المشاكل التي يثيرها تطورنا الاجتماعي المعاصر ، على ما أرى » « والقصة في المستقبل « هي الوسيط الاجتماعي » ، ووسيلة التفاهم واداة الاختبار النفسي ، ومعرض الاخلاق والعادات ، ومعمل الاعراف والتقاليد ، ونقد القوانين والانظمة والاراء والمعتقدات المتحجرة . » . « اننا سنعالج المسائل السياسية والدينية والاجتماعية . » كان ويلز لا يطيق تصورها (اي القصة) على انها مجرد وسيلة للتسلية ، كما انه صرح بصورة جازمة بعدم استطاعته النظر اليها باعتبارها شكلا فنيا . ومن الغريب حقا رفضه وصف قصصه بالدعاية . « لان الدعاية – كما تبدو لي – تقتصر على خدمة معينة لحزب منظم ، او كنيسة » . والكلمة ، على كل حال ، لها معنى اكثر من ذلك كثيرا . انها تشير الى الطريقة التي يراد منها محاولة اقناع الآخرين بصواب ارائك في الخير والشر والظلم والعدل ، وضرورة قبول هذه الآراء والعمل بموجبها . وهذا يتم بواسطة المشافهة او الكلمة المكتوبة او الاعلان او الاعادة المستمرة . وقصص ويلز نفسها صممت لنشر مبادىء وتعاليم معينة وهذه هي الدعاية بالذات .

وبعد ، اتعد القصة شكلا فنيا ام لا ؟ اقصدها الامتاع ام التهذيب والاصلاح ؟ فاذا كان الغرض منها الاصلاح فما هي – اذن – بالشكل الفني . لان غرض الفن هو الامتاع . يتفق في هذا الصدد الشعراء والرسامون والفلاسفة . وهذه حقيقة هزت مشاعر الكثير من الناس الصالحين ، ذلك بان المسيحية علمتهم النظر الى اللذة باعتبارها فخا لاصطياد الروح (الانسانية) الخالدة . لكن يبدو لي معقولا ان ننظر الى اللذة بصفتها خيرا لا شرا ، مع عدم نسيان العواقب السيئة للعديد من الملذات التي ينبغي نبذها واجتنابها . هنالك ميل عام للنظر الى اللذة نظرة حسية وهذا امر طبيعي لان الملذات الحسية اكثر اثارة والتهابا من المسرات العقلية . وهذا لا يعني ان المسرات الاخيرة لا اهمية لها ، فهي وان كانت اقل شأنا من الملذات الحسية ، من حيث الاثارة لكنها ابقى على الزمن . يعطي معجم اوكسفورد احد معاني الفن بقوله : « هو تطبيق المهارة على موضوعات الذوق كالشعر والموسيقى والرقص والدراما والخطابة والانشاء الادبي وما اشبه . » وهذا حسن جدا ، ثم يضيف (المعجم) الى ذلك قوله : « وهذه تتجلى (يعني المهارة) خاصة في استعمالها الحديث، في استكمال القدرة الفنية ، واستكمال تطبيقها التنفيذي ، وهو وحده موضوع قائم بذاته . »

وهذا هدف يسعى كل قاص لانجازه ، وهو امر قلما يحققه – على ما نعلم – احد . اعتقد انه يصح لنا اعتبار القصة شكلا فنيا ، قد لا يكون رفيع الشأن كل الرفعة ، لكنه – على كل حال – شكل فني ، يعوزه الكمال .

ولما كنت قد عالجت هذا الموضوع في المحاضرات التي القيتها هنا وهناك ، ولما كنت غير مستطيع اضافة شيء احسن الآن على تلك المحاضرات ، سأسمح لنفسي بالاقتباس منها .

ارى ، انه من الغبن استخدام القصة منبرا او منصة ، وانا مؤمن بحتمية انزلاق القراء فيما اذا حسبوا انهم قادرون على نيل المعرفة من هذاه الطريق . فالمعرفة لا يمكن نيلها الا بالعمل الشاق وهذا امر فادح الازعاج . وكم تكون الحال ادعى للمسرة لو تناولنا المعلومات المفيدة ، السائغة الطعم ، التي تنثال علينا من حلوى الرواية . والحقيقة ان هذه المعلومات التي يمكن استساغتها لا يسعني التأكد من فائدتها . ذلك بان المعرفة التي ينقلها القاص الينا ، لا تخلو من انحياز وهذا يجعلها غير جديرة بالركون اليها . ومن هنا ، فخير لنا الا نعرف شيئا من ان نعرفه بصورة مشوهة . ولا داعي للقاص ان يتقمص غير القاص من الشخوص . يكفي ان يكون هو قاصا جيدا . عليهمعرفة القليل من الكثير من الاشياء ، وليس ضروريا ان يكون مختصا في اي موضوع ، فهذا قد يؤذيه احيانا . وهو ليس بحاجة ان يأكل خروفا باكمله لكي يعرف طعم لحم الغنم ، اذ تكفيه قطعة منه . واذن ، بتجسيده لخياله وقدرته الخلاقة . . . يستطيع ان يقدم لك فكرة جيدة عن مرقة اللحم الارلندية، اما اذا اخذ يقدم لك آراءه عن تربية الغنم وصناعة الصوف والاوضاع السياسية في استراليا ، فحذار من قبولها الا بتحفظ حكيم .

القاص انسان واقع تحت رحمة هواه . فالموضوعات التي يختارها والشخوص التي يبدعها وموقفه حيالها ، كلها مشروطة بهواه . وكل ما يكتبه ما هو الا تعبير عن شخصيته وابراز لغرائزه الكامنة ومشاعره وتجربته . ومهما يحاول ان يكون موضوعيا يظل عبدا لنزواته ، ومهما جاهد ان يكون حياديا فهو لا بد منضم الى احد الفرقاء . . . وبمجرد لفت نظرك الى شخص من شخوصه في مستهل قصته، يجذب اهتمامك ويستدر عطفك على ذلك الشخص.

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

يصر هنري جيمس تكرارا ومرارا على ان القاص يجب ان يمثل . وهذا قول لا يكون واضحا كل الوضوح ، لكنه يعني به : ينبغي (للمؤلف) ترتيب الوقائع التي يعرضها باسلوب يجتذب اهتمامك ويحافظ على استمراره . ولذا — اذا اقتضت الحاجة — لا مانع لديه من نحر الحقيقة وكل ما هو معقول لحاجة في نفسه يبغيها . وهذا — على ما نعلم — ليس السبيل في العمل العلمي والتثقيفي . فهدف كاتب الرواية — اذن — ليس التعليم والارشاد بل التسلية والامتاع .

* * *

ثمة طريقان رئيستان في كتابة القصة ، ولكل منهما محاسن ومساوىء . الطريقة الاولى هي كتابتها بصيغة المتكلم . والثانية كتابتها من وجهة النظر الشاملة المعرفة . وفي الاخيرة يستطيع المؤلف اخبارك بما يحسبه ضروريا لجعلك قادرا على تتبع قصته وفهم شخوصه . ويتمكن من وصف مشاعرهم وعواطفهم من الداخل . فاذا ما عبر احدهم الشارع اخبرك لماذا فعل ذلك وما ستكون النتيجة. انه يستطيع الاهتمام بطائفة من الشخوص وسلسلة من الحوادث ، وبعدئذ تراه يضعهم على جانب فترة ما ، ويبدا بالاهتمام بطائفة اخرى من الشخوص وسلسلة ثانية من الحوادث . وبذا ينعش ما فتر من تطلع (القارىء) .. وبتعقيد قصته ، يقدم انطباعا عن تعقيد الحياة وتناقضها وتنافر (اركانها) . وخطر هذه الطريقة يبرز في رجحان كفة احدى الطائفتين من حيث اهتمام القراء . والمثل المعروف لذلك موجود في «ميدلمارش» بحيث يجد القارىء نفسه في وضع شاق يحمل فيه حملا على تركيز انتباهه في شخوص لا يعنى بهم اقل عناية . والقصة المكتوبة بالطريقة (الشاملة) معرضة للتفكك واللغو والهذر . لم يكتب احد خيرا من تولستوي ومع هذا فهو نفسه لم يتخلص من هذه المساوىء والمعايب . وهذه الطريقة تثقل المؤلف بما ينوء به . اذ عليه ان يتقمص كل شخص من شخوصه ، فيشعر بمشاعره ويفكر بافكاره ، فالتقييدات تحدد (تصرفه) وهو لا يستطيع شيئا من ذلك الا اذا كان — في نفسه — متماثلا مع نفسية الشخص الذي ابدعه ولو بعض التماثل . وان انعدم هذا التماثل انعدم التقمص واضطر المؤلف الى مراقبة (بطله) من الخارج وحينئذ يفقد هذا البطل (ميزة) الاقناع التي تحمل القارىء على الوثوق به .

وفي ظني ان هنري جيمس ادرك هذه المساوىء ، بسبب من قلقه على شكل القصة (اي قصة) فابتدع طريقة هي نصف شمولية — وفيها لا يزال القارىء شامل النظرة ، على ان يتركز شموله هذا في شخص واحد بالذات — ولما كان هذا الشخص عرضة للانهيار والسقوط ، فهذه النظرة الشاملة لا يمكن ان تكون كاملة . يدثر المؤلف نفسه بالشمولية حين يكتب قائلا (راى ابتسامتها) لكنه لا يفعل ذلك عندما يقول : (راى سخرية ابتسامتها) لان السخرية شيء يعزوه الى ابتسامتها وقد يكون ذلك بغير سبب مبرر . وقد راى هنري جيمس — بغير شك — فائدة مثل هذه الوسيلة . فهو (يعرض) في (السفراء) شخصية ستريثر المهمة كل الاهمية ، ومن خلال ما يرى ويسمع ويشعر ويفكر ويتأمل ، من خلال كل ذلك تكتب القصة وتتفتح الشخوص الاخرى المعنية بالامر ، وبذا يتجنب المؤلف ما هو ليس بذي موضوع . ويكون بناء قصته محكما بالضرورة . وبالاضافة الى ذلك فهذه الوسيلة تضفي جوا من ارجحية الصدق على ما يكتب . ولما كان المطلوب منك ان تعنى بشخص واحد حسب ، لا بد لك ان تؤمن بما يقوله ولو بغير وعي منك . اما الحقائق التي لا بد من انسيابها الى القارىء من طريق (البطل) الذي يتعلمها ، فستجعل القارىء يشعر بسرور الايضاح والابانة ، خطوة فخطوة ، فيتجلى له ما كان غامضا مبهما محيرا . وبهذه الطريقة يمكن اسباغ شيء من السرية على العمل الادبي كما هي الحال في القصص البوليسية ، وهذه هي الميزة الدرامية التي كان هنري جيمس شغوفا بالتعلق بها .

ومع ذلك فكشف الحقائق بصورة تدريجية فيه خطر ، لان القارىء قد يكون أسرع بديهة من (البطل) فيكتشفها ويعرف الاجابة عن اسئلتها، قبل ان يرغب المؤلف في ذلك. ان من يقرا (السفراء) لا بد له ان يفرغ صبره سريعا من غباوة ستريثر. فهو لا يرى من يحملق في وجهه وما يحس به كل من يتصل به . . . بحيث يعد عدم ادراكه اشارة لنقص في هذه الطريقة . اذ ليس امرا امينا ان تحسب قارئك اكثر حمقا مما هو عليه في الواقع .

ولما كانت القصص — معظم القصص — قد كتبت من وجهة النظر الشاملة ، فلا بد من الافتراض ان القاصين وجدوا هذه الطريقة انجع في معالجتهم لمشاكلهم، لكن لسرد القصة من طريق الضمير المتكلم بعض الفوائد ايضا . شأنه في ذلك (اعني السرد) شأن طريقة هنري جيمس من حيث ارجحية الصدق ، واضطرار المؤلف للصدق بما اختطه من سبيل، لانه لا يستطيع الا ان يحدثك هو بما سمعه وشاهده وعمله . كان يمكن استخدام هذه الطريقة وبفائدة من قبل القاصين الانكليز العظام في القرن التاسع عشر . لان قصصهم كانت تتهادى من موضوع الى اخر ، مع عوز الى الشكل (الفني) وسبب ذلك يعود اما الى وسائل النشر او نفسية الامة . وفائدة اخرى للتحدث بالضمير المتكلم ، هي انها تجعلك تشارك السارد في مشاعره . قد لا تتفق معه ، لكنه يركز اهتمامك به بحيث يضطرك الى محضه عطفك . ومن مساوىء هذه الطريقة هي ان سارد القصة كما هي الحال في (داود كوبرفيلد) هو المؤلف نفسه ، فمن غير اللائق ان يحدثك عن نفسه فيقول : انني جميل وجذاب . وهو يبدو مغرورا حين التحدث عن اعماله البطولية، واحمق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين لا يرى ما يراه القارىء بداهة عندما تحبه البطلة. ومن اخطر المساوىء هي العقبة التي لم يستطع احد من كتاب هذا الضرب من القصة اجتيازها باسرها ، اعنى ان الشخص الرئيس ، البطل المتحدث عن نفسه ، يبدو ضئيلا بالقياس الى الشخوص (الاخرى) التي يتحدث عنها ، لم ينبغي ان يكون هذا ؟ تساءلت عن ذلك انا نفسي ، اعتقد ان المؤلف — على قدر ما استطيع من توضيح — يرى نفسه في البطل يراه من الداخل ، بصورة ذاتية ، فيصب فيه ما فيه من اضطرابات وضعف وتردد يشعر بها في دخيلة نفسه ، على حين يرى الشخوص الاخرى من الخارج . يراها بصورة موضوعية من خلال حدسه وخياله . فاذا كان للمؤلف ما لدكنز من مواهب رائعة ، فهو سيرى هذه الشخوص بعنف درامي ، وبشعور ساخر هائج ، وسرور عميق بغرابتها ، وبذا يجعلها حية نابضة بالحركة ، بحيث تطغى على تصويره لنفسه .

وعلى هذا المنوال كتب العديد من القصص ، حتى اصبحت ذات (موضة) شهيرة . وهي على شكل رسائل ، كل منها مكتوب بضمير المتكلم . ومع ذلك فكاتبوها مختلفون وهذه الطريقة تمتاز بارجحية اصالتها الصادقة . وقد يحسبها القارىء رسائل حقيقية دبجها اناس معينون ، ثم وقعت في يديه بالمصادفة المحض . وبعد ، فان ارجحية الصدق هي الهدف الذي يسعى المؤلف الى تحقيقه قبل كل شيء ؟ انه يريدك ان تصدق ما يقوله لك كانه واقع حقا ، ولو كان ذلك غير محتمل الوقوع كما هي الحال في حكايات بارون مونخهاوزن ، او مرعبة ك (قلعة) كافكا . لكن هذا الضرب من القصص له مساوئه الفادحة ، فهو يستخدم طريقة ملتوية في السرد بتأن لا يحتمل . كانت الرسائل قطنية غير ذات موضوع . فسئمها القراء ، وعلى الاثر اندثرت هذه الطريقة . لكنها انتجت ثلاثة كتب تعد من فرائد الرواية وهي : كلاريسا ، هلويز الجديدة و صلات مخطرة (نقلنا بحثا عنها في « الاديب » كتبه اندريه موروا. « المترجم ») .

وعلى اي حال ، ثمة ضرب من القصص مكتوب بضمير المتكلم ، استطاع — على ما اظن — تجنب مساوىء هذه الطريقة ، واستخدام محاسنها استخداما جيدا . وهو ، ربما ، طريقة مجدية نافعة في كتابة القصة ، و (مو بي دك) لملفل هي مصداق هذا الاستخدام الحسن . وفي هذا الصنف من القصة يسرد المؤلف المجاريات بنفسه ، لا على انه البطل ولا على ان القصة قصته . فهو شخص من شخوصها ، وهو متصل — بهذا الشكل او بغيره — بالشخوص الاخرى ، فهو لا يقرر مصير العمل القصصي ، بل يقوم بدور الانسان الثقة والوسيط والمراقب الذي يرصد اعمال المسهمين في العمل ، شأنه في ذلك شأن الكورس في التراجيديا اليونانية . انه يتأمل في الظروف التي يرقبها . فهو قد يتفجع او قد ينصح ، الا انه لا حول له ولا قوة في التأثير في مجرى الحوادث . انه موضع ثقة القارىء ، فيحدثه بما يعرف وبما يأمل ويخشى ، وحين يصيبه البلبال والحيرة يصارحه بالامر . اذ ليس من حاجة لجعله احمق . كيلا يكشف للقارىء ما يمتنع المؤلف عن كشفه ، كما هو حادث بالقياس الى شخصية ستريتر من شخوص هنري جيمس . وهو على الضد من ذلك ، سريع البديهة ، صديد النظر ، على حسب ابداع المؤلف . اما السارد والقارىء فهما منسجمان في اهتمامهما المشترك بشخوص القصة ، وصفاتهم الاخلاقية ، ونوازعهم ومسلكهم وينقل السارد الى القارىء الالفة نفسها ، التي تشده بمخلوقات خياله هو نفسه . وبذا ترجح لديه كفة احتمال الصدق بصورة مقنعة كتلك التي ترجح بالقياس الى المؤلف نفسه بصفته بطل القصة بالذات ، (ومن هنا) يستطيع بناء كيان بطله بحيث يثير فيك العطف كانه يريه لك في ضوء بطولي وهذا ما لا يستطيعه السارد البطل الا بانتزاع شيء من عدائك . وهذا الاسلوب من كتابة القصة يؤدي الى الالفة بين القارىء والشخوص ويستزيد من مدى احتمال الصدق وهو اسلوب حميد بالبداهة .

والان سأخاطر واذكر الصفات التي يجب ان تمتاز بها القصة الجيدة ، على حسب ظني . ان موضوعها ينبغي ان يكون مهما مثيرا للانتباه اعني بذلك الا يقتصر على عصبة من الناس سواء اكانوا من النقاد والاساتذة وعلية القوم ام سواق الباصات وخدم البارات والحانات . بل يكون شاملا في انسانيته ، يجتذب الناس نساء ورجالا ، وعليه ان يكون مستمر الاثارة . فالقاص قاص نزق متهور ، اذا ما اختار موضوعاته طبقا للمناسبات التي ما ان ينقضي اجلها حتى لا تعود قصته ممكنة القراءة ، كصحافة الاسبوع الماضي . القصة التي يريد المؤلف سردها ، لا بد ان تكون منسجمة مقبولة عقلا ، لها بداية ومنتصف ونهاية هي نتيجة طبيعية للبداية ، اما الحوادث المهمة فينبغي لها أن تكون محتملة الوقوع لا تطور الموضوع حسب بل تنمو من داخل القصة نفسها . ان مبدعات خيال المؤلف ، لا بد لها من شخصياتها الخاصة ، اما تصرفاتها فينبغي ان تصدر من تلك الشخصيات ، ولا يجب ان يسمح للقارىء بالقول : « علان وفلتان ولا ينبغي ان يتصرفا هكذا » . على الضد من ذلك ، يجب اجباره على القول : « هذا بالضبط ما توقعت فعله من قبل فلان وفلان . » فانا اعتقد من الاحسن ان يكون الشخوص انفسهم موجبين للاهتمام قمينين به .

كتب فلوبير (التربية العاطفية) وهي قصة نالت شهرة عظيمة بين العديد من النقاد المتازين ، لكنه اختار لبطله انسانا تافها كل التفاهة ، باردا كل البرود ، ضائع السمات، بحيث اصبح من غير المحتمل الاهتمام بما يفعله او ما يقع له ، وتبعا لذلك وبالرغم من ميزات الكتاب فهو صعب القراءة . اظن ان على توضيح ما اعني عندما اقول : لا بد من مراقبة الشخوص على اعتبارها ذوات شخصيات

متميزة . ومن الصعب ان نتوقع من القاص ابداع شخوص جديدة كل الجدة ، فمادته هـي الطبيعة الانسانية ، ومع اختلاف الناس وتبايـن احوالهم ، فهـم ليسوا متباينين بصورة مطلقة ، والقصص والروايات والمسرحيات والملاحم كتبت عبر العديد من مئات السنين، حتى يعسر على اي مؤلف ابداع شخصية جديدة تماما. ونظرة متروية واحدة في حقل الرواية تجعلني اعتقد ان (دون كيشوت) هي الابداع الاصيل الوحيد ، ولا اراني متعجبا اذا مـا علمت بعثور بعض النقاد الثقاة علـى سلف قديم لهذا العمل . والمؤلف سعيـد اذا استطاع رؤيـة شخوصـه من خلال شخصيته بالـذات . واذا ما كانت هـذه شخصية غير اعتيادية ، فيسعه ان يضفي على تلـك الشخوص جوا من الاصالة التخيلية .

وكما ان السلوك (الانساني) ينبعث من السجية والخلق كذلك الكلام لا بد له من ذلك. فالمراة الانيقة ينبغي ان تتكلم كأمراة انيقة والسوقة كالسوقة ، وسماسرة سباق الخيل كسماسرة، وكذلك الحال مع معقبي الدعاوى. (فمن الخطأ بالتوكيد بالقيـاس الى مريديـث وهنري جيمس اجراء الحديث على السنة ابطالهما مجرى الحديث لدى مريديث وهنري جيمس نفسيهما .) فالحـوار لا يجب ان يكون مفكك الاوصال ولا مناسبة للمؤلف ليظهر وجهات نظره ، بل لابد له من تشخيص المتكلمين وتطوير القصة. والفقرات السردية يجب ان تكون حية وافية بالغرض المقصود وليس اكثر اطنابا مما تقتضيه نوازع الشخوص المعنية والظروف التي تكتنفهم ، مع جلاء ووضـوح واقناع . كمـا ينبغي للكتابة ان تكون بسيطة سهلة القراءة على القراء متوسطي الثقافة ، وعلى الاسلوب ملاءمة الموضوع ملاءمة الحـذاء الجيد للقدم المنتظمة ، وفي الختام يجب ان تكون القصة مسلية ، ومع اني وضعت هذه الميزة في اخر القائمة فهي الميزة الجوهرية لان بغيرها لا تنفع اي قيمة اخرى . وكلما كانت تسلية القصة اكثر لوذعية كانت احسن اثرا. التسلية كلمة لها معان عديدة فهي تقدم (لنـا) متعة وتستجلب انتباهنا . ومن الغلط الشائع حسبان المتعة مهمة بذاتها . فيسعنا الحصول على التسلية من (مرتفعات وذرنغ) او (الاخوة كارامازوف) او (ترسترام شاندى) او (كانديد) على حد سواء . طبيعي ان يكون للمؤلف الحق في تناول الموضوعات العظيمة التي تهم كل انسان، كوجود الله وخلود النفس ومعنى الحياة وقيمتها ، ومع ذلك خير لـه تذكر مقولة الدكتور جونسن : هذه موضوعات لا يستطيع المرء ان يقول عنها شيئا جديدا صادقا ، ولا شيء صادق عنها وهو جديد . وكل ما يأمله المؤلف هو جذب انتباه القارىء الى ما يريد التعرض له بخصوص هذه الموضوعات ، اذا كانت جزءا لا يتجزأ من القصة مـن حيث ضرورتها الى شخوص قصته وتأثيرها في مسلكهم ـ اي ان تكون ملازمة للعمل الروائي ملازمة النتيجة للسبب في المكان والزمان .

ومهما انفردت القصة بالميزات التي ذكرتها ، وهذا مطلب كبير ، يظل شكلها الفني مشوبا بنقص ، كالاحجار الكريمة ذوات الشوائب . وهذا هو السبب في عدم كمال القصة الطويلة .

اما القصة القصيرة فهي قطعة من الرواية يمكن قراءتها ـ حسب طولها ـ في فترة تتراوح بين عشر دقائق وساعة وهي تعالج موضوعا محددا واحدا ، حادثة او سلسلة من الحوادث المتشابهة ، سواء اكانت هذه روحية المضمون او مادية بغير نقصان او زيادة . فلا يمكن اضافة شيء اليها او انتزاعه منهـا . وهنا ، اعتقد بأنه يمكن الوصول الى الكمال . ولا اظن من الصعوبة جمـع عدد مـن القصص القصيرة فيها الكمال محقق ، لكن القصة (الطويلة) متنوعة فسردها لا حدود له ، فهـي قد تكـون طويلة كـ (الحرب والسلم) ، حيث تتعاقب فيها الحوادث والعديد العديد من الشخوص في فترة زمنية (مديدة) او قد تكون قصيرة كـ (كارمين) ، ولكي يضفي المؤلف احتمالية لوقوع الحوادث على القصة ، لا بد له من سرد سلسلة من الوقائع الملازمة لها لا تكـون ذات موضوع يجلب الانتباه . وقـد تكون الحوادث منفصلة عن بعضها بعامل الزمن ، لكن هذا الفراغ يجب ان يملأ لكي يكون الاتزان حاصلا في العمل (الادبي) ، وهذه المعابر (الزمنية) تعرف بالجسور ، ومعظم الكتاب يحملون انفسهم على اجتيازها حمـلا ، فتراهم يعبرونها بشيء من المهارة قليل او كثير . وهم اذ يفعلون ذلك يثيرون فيها الكلال والملل .

القاص انسان ، وتبعا لذلك فهو بالضرورة قابل للتأثر بعادات عصره وتقاليده ، ولما كان مثل هذا الانسان شديد الحساسية ، فهو غالبا ما يكتب اشياء تفقد جاذبيتها بمرور الزمن .

دعني اقدم مثلا : لم يعلق القاصون على وصف المناظر الطبيعية وغيرها ألا اقل الاهمية حتى القرن التاسع عشر ، كانت تكفيهم كلمة او كلمتان لقول ما يـريدون قوله ، لكن المدرسة الرومانسية ومن اقطابها شاتوبريان اجتذبت اليها الاذهان ، فاصبح وصف المناظر موضة الكتابة بحد ذاتها ، فلا يمضي احـد السابلـة لشراء فرشاة اسنان من احد الصيادلة بغير ان يحدثك المؤلف عن مراى البيوت التي مر بها ، وما عرض في معارض الحوانيت من اشياء واشياء . الفجر والغروب والليل المزدهر بنجومه والسماء الصاحية والجبال المقببة بالثلوج والغابات السود ، كل هذه المناظر مناسبة للكتابة الوصفية التي لا انقطاع لها . الكثير من هذه المناظر كان جميلا ، غير ان معظمها لم يكن ذا موضوع مهم ، وقد انقضى على الكتاب زمـن طويل حتـى اكتشفوا ان الوصف مهما يكن شاعريا معجـب التعبير تافه اذا لم يكن ضروريا ـ اعني اذا لم يساعد الكاتب في تطوير قصته او قول ما يفيد القارىء الاطلاع عليه بخصوص الشخوص المسهمة في العمل الادبي . هذا عيب عرضي ، لكن ثمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غيبا كامنا اخر . **لما كان الاثر (الادبي) ذا امتداد وافر ،** اقتضت الحال استغراق وقت طويل لانجازه ، قد يكون اسابيع على الاقل او اشهرا على الاعم او سنوات من حين الى حين . فمن المحتمل ان يقصر ابداع المؤلف ، وعندئذ يضطر الى الركون الى الصناعة المستميتة والكفاءة الاعتيادية ، وسيكون معجزا لو يستطيع التمسك بزمام انتباه قارئه .

وفي الماضي ، كان القراء يفضلون الكمية على النوعية حتى يستردوا قيمة ما دفعوه من مال من القصص الطويلة، وكان المؤلف مضطرا الى تقديم اكبر كمية من المادة الى المطبعة ، كمية لا تقتضيها القصة . لذا شق له طريقا سهلة لفعل ذلك . انه اخذ يدس قصصا قصيرة في قصصه الطوال ، اقاصيص لا صلة لها بالموضوع ، وفي احسن الاحوال كانت تلصق بها بغير سبب مشروع . ولم يسبق لكاتب فعل هذا الامر ان بزسرفانتس بعدم اكتراثه ـ بهذا الشأن ـ في كتابه (دون كيشوت) . هذه الكتابات المدسوسة كانت دائما تعد لطخة في جبين ذلك الاثر الخالد، ولا يمكن قراءتها الان الا بصبر يكاد ينفد . لقد انتقده نقاد عصره لهذا السبب ، وفي القسم الثاني نراه ينبذ هذه العادة السيئة ، منتجا بذلك خاتمة احسن من سابقتها ، وذلك ما لم يكن في الحسبان . غير ان هذا الامر لم يمنع الكتاب اللاحقين (الذين ـ ولا شك ـ لم يقراوا نقدات الكتاب السابقين) من استخدام وسيلة سهلة تعينهم على دفع كميةمن الكتاب الى باعة الكتب، تصلح لان تكون مجلدا صالحا للبيع، وما ان حل القرن التاسع عشر حتى استجدت وسائل للنشر عرضت القاصين الى اغراءات جديدة . فلقد حققت المجلات الشهرية نجاحا عظيما ، فيما كانت تكرسه من مجال لما يعرف تهوينا بالادب السهل ، وبذا افسحت فرصا للكتاب كي يقدموا اعمالهم الادبية الى الجمهور بشكل متسلسل مع فائدة مالية لهم . وفي الوقت نفسه تقريبا ، وجد الناشرون فائدة في نشر نتاج الكتاب المعروفين في اعداد شهرية ، واتفق الكتاب هؤلاء على تزويد الاوائل بما يشغل عددا من الصحائف . وبهذه الطريقة استطاع المؤلفون ان يكونوا مرفهين وطويلي النفس في الكتابة . وقد عرفنا من اعترافاتهم كيف ان كتاب هذه المسلسلات حتى احسنهم كدكنز وثاكري وترولوب كانوا يمقتون ما حملوا عليه حملا من تقديم ما يقدمونه من نتاج على اقساط في اوقات معينة . فلا عجب اذا ما ملأوا كتبهم حشوا ! ولا غرابة اذا ما اثقلوها بحوادث غير ذات موضوع! وحين امعن النظر ف يالعديد من الحواجز التي ينبغي على المؤلف اجتيازها وكم من العثرات ينبغي تجنبها ، لا ادهش مما يعتور القصص العظيمة من تقصيرات ، بل اعجب من ضآلة هذه التقصيرات .

* * *

وتطلعا مني الى تحسين كتابتي قرات العديد من الكتب التي تبحث في القصة ، فيما تيسر لي من وقت . هؤلاء الكتاب ـ على العموم ـ شأنهم شأن هـ.ج. ويلز ، لا ينظرون الى القصة على انها وسيلة تسلية وتلهية . والنقطة الوحيدة التي يجمعون عليها هي ان حوادث القصة ذات اهمية تافهة . والحق ، انهم يميلون الى اعتبارها عقبة تحول بين القارىء والانهماك في عناصر القصة المهمة . يبدو انه لم يخطر على بالهم ما للمجريات القصة والعقدة من اهمية ، فهي خيط الحياة الذي يرميه القاص الى القارىء لمسك زمام انتباهه . وهم يعدون سرد قصة ما قصد السرد لا غير نوعا من الرواية . وهذا امر يظهر غريبا لي ، لان الرغبة في الاصغاء الى القصص عميقة الجذور في الانسان الحيوان كحاسة التملك . ومنذ فجر التاريخ كان الناس يجتمعون حول النيران الموقدة ، او في السوق للاصغاء الى سرد القصص . ومصداق قوة هذه الرغبة يظهر في الشهرة المدهشة التي حظت بها القصص البوليسية في يومنا هذا . ووصف القاص بصفته سارد قصص حسب ، هو ازدراء به وابعاد له . ولي من الجسارة ما يحملني على افتراض عدم وجود مخلوق كهذا . يقدم لك الكاتب نقدا للحياة بانتقائه للحوادث والشخوص التي يختارها وموقفه حيالها جميعا. قد لا يكون هذا النقد اصيلا او عميقا كل العمق ، لكنه نقد على اي حال . وتبعا لذلك فالكاتب كاتب اخلاقي على طريقته الخاصة ، وربما بغير وعي منه . بيد ان علم الاخلاق على الضد من الرياضيات ليس علما دقيقا . فهو علم مرن لانه يعالج المخلوقات البشرية ، والمخلوقات البشرية ـ على ما نعلم ـ مترددة متغيرة مغرورة .

نحن نعيش في عالم مضطرب هو ـ بلا شك ـ شغل

صدر عن دار المكشوف

غسطينـــو

او مأساة المراهقة

للكاتب الايطالي المبدع :

البيرتو مورافيا

ترجمة : جورج مصروعه

دراسة عميقة الغور ، دقيقة التفاصيل في قالب روائي جذاب . ايضاح معضلة من اهم واخطر المعضلات الاجتماعية في مختلف انحاء العالم، ببيان مشرق، وديباجة في منتهى السلامة.

الثمن : ليرتان لبنانيتان

القاص الشاغل . والمستقبل مبهم ، وحريتنا مهددة . ونحن في براثن القلق والمخاوف والخيبة . والقيم التي كانت في الماضي اعلى من مستوى التساؤل ، اصبحت الان وكأن الشكوك تحوم حولها . لكن هذه الشؤون شؤون مهمة ، وهي قد تكون ثقيلة الظل على القارىء ، الامر الذي لم يفت كتاب الرواية ملاحظته . والان وبعد اكتشاف موانع الحمل ، لم تعد للعفة ما كان لها من قيمة رفيعة ولم يكن القاصون بطيئين لملاحظة الاختلاف الذي تبع هذا الاكتشاف في الصلات بين الجنسين ، ولذا فكلما شعروا بان شيئا ما ينبغي القيام به للابقاء على اهتمام القارىء المتدني ، حملوا شخوصهم على الانهماك في الجماع . انا لست متأكدا انهم ــ بهذا ــ يمتثلون بنصيحة رشيدة . يحدثنا اللورد تشيسترفيلد عن الاتصال الجنسي فيذهب الى : انه وقتي والثمن باهظ والوضعية (الجسدية) موجبة للهزء . ولو عاش اللورد ، حتى الان ليقرأ الرواية الحديثة ، لاضاف الى ذلك الرتابة التي تلازم (العملية) وهي التي تجعل اي سرد لها ممل اشد الملل .

ثمة ميل ــ في الوقت الراهن ــ للاهتمام بالتشخيص اكثر من الحوادث ، والتشخيص ــ طبعا ــ امر مهم ــ فانت اذا لم تتعرف على شخوص القصة تعرفا وديا ، حتى تشاطرهم فيما هم فيه ، لن تهتم بما يقع لهم من وقائع . ان سرد الحوادث ذات التشخيص الضعيف الاعتيادي له مكانته كالتشخيص الرصين . وبهذا الاسلوب كتبت بعض القصص الجيدة كـ (جيل بلاس) و (مونت كرستو) . كما ان شهرزاد كان يمكن ان تفقد راسها باسرع وقت لو انها اهتمت بشخوص ابطالها ، بدلا من سرد ما وقع لهم من وقائع وحوادث .

في الفصول التالية تحدثت عن حياة وشخصية الكاتب الذي كتبت عنه . وقد فعلت ذلك ترويحا لنفسي من جهة ولفائدة القارىء من جهة اخرى ، لاني اعتقد بان معرفة شخصية المؤلف تساعد على فهمه وتقييمه . فمعرفتك لشيء عن فلوبير يفسر لك الكثير مما يشوشك في (مدام بوفاري) . واطلاعك على القليل مما نعرف عن اميلي برونتي ، يضفي توقدا اشد الى قصتها المعجبة الرائعة الغريبة . وبصفتي قاصا كتبت هذه المقالات من وجهة نظري الخاصة ، والخطر في ذلك كامن في : ان القاص عرضة للهوى فهو يحب ما يراه مقربا اليه ، ولذا فحكمه على اعمال الغير يعتمد على مدى هذا التقارب . ومن اجل ان يكون انصافه تاما بالقياس الى الاعمال الادبية التي لا يوليها عطفه فانه بحاجة الى النزاهة الرزينة وكرم النفس ، هاتين الصفتين اللتين نادرا ما يملكهما اعضاء الجنس النزق المنفعل . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فالناقد غير المبدع قد لا يعرف الا الشيء القليل عن تقنية القصة . فهو ــ في نقده ــ سيقدم اليك انطباعات شخصية ، ربما لا تكون ذات قيمة مهمة . الا اذا كان شانه شان ديزموند مكارثي ، فهو ليس اديبا بحاثة حسب ، بل انسانا من هذا العالم ، والا فهو سيقدم لنا احكاما مبنية على قواعد ثابتة جافة لا بد من اقتفاء اثرها لنيل رضاه . وهو كذلك الاسكافي الذي صنع زوجي احذية لا غير ، لا يهمه من الامر شيء ، ان لم يناسب احد هذين الزوجين قدميك ، فما عليك ــ اذن ــ الا ان تمشي حافيا .

المقالات المتضمنة في هذا المجلد كتبت في المقام الاول لحث القراء على قراءة القصص المعنية ، ولكي لا اعبث بما في ذلك عن مسرة عاهدت نفسي الا اكشف من كل قصة الا ما هو ضروري لا مفر منه . وهذا الامر جعل من الصعب معالجة كل كتاب معالجة وافية . وحين كتبت ما كتبت حسبت بالبداهة ان القارىء يعرف هذه القصص ، ولذا فلا يهم كشف الوقائع التي يتأنى المؤلف في كشفها لاسباب بديهية . ولم اتردد في الاشارة الى المساوىء والمحاسن التي رايتها في هذه القصص المختلفة ، فليس اضر بالقارىء الاعتيادي من المديح الذي لا يميز ، هذا المديح الذي يسبغ احيانا على الاعمال الادبية المعترف بها بحق على انها اعمال كلاسية .

ان القارىء سيقرأ وسيجد بعض النوازع غير المقنعة ، وبعض الشخوص غير الاصيلة ، وسيرى هذه الواقعة او تلك بلا اهمية ، كما سيعثر ببعض الاوصاف المملة . فان كان هذا القارىء ذا طبيعة حادة المزاج ، فهو سيصرخ في (وجوه) النقاد الذين وصفوا الرواية التي يقرؤها بانها فريدة من الفرائد ، ويحسبهم جماعة من الحمقى . اما اذا كان ذا عريكة لينة ، فسيلوم نفسه وسيظن الامر اعلى من امثاله . اما اذا كان لجوجا ملحاحا بالطبيعة فسيقرأ بروية واناة ولو بغير متعة . الا ان الكتاب الذي لا يمحض القارىء بالمتعة فلا قيمة له وبخاصة بالقياس الى نفس القارىء . ومع ذلك ، ارى ان للقاص الا يؤمل في انصافك اياه . الا اذا اعترفت بحقه في ان يطالب بشيء من قرائه انفسهم . ان له الحق في ان يطالب منهم بمثابرة تقتضيها قراءة كتاب مؤلف من ثلثمئة او اربعمئة صفحة . وله ان يطالبهم بتملك خيال مناسب لكي يكونوا قادرين على شغل انفسهم بحيوات وافراح واتراح واضطرابات ومغامرات شخوص خيال (المؤلف) .

واذا لم يكن القارىء مستطيعا على ان يهب شيئا من نفسه ، فهو لن يتمكن ان يحصل من القصة على احسن ما تجود به . واذا لم يكن قادرا على مثل هذا الصنيع ، فخير له لو لم يقرأها (اعني القصة) . اذ ان قراءة العمل الروائي ليست الزاما ولا التزاما .

بغداد — **يوسف عبد المسيح ثروة**

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com



في معركة المصير العربي

تاليف طاهر ابو فاشا – ؟ صفحة – مطبعة التحرير بالقاهرة

كثرت في هذه الايام المؤلفات التي تدور حول فكرة العروبة والقومية العربية ، ولا شك ان معظم هذه المؤلفات مفيد بما يحمل من الكثير من المعلومات التاريخية والقضايا القومية والفكرية ، ولكن حركتنا القومية المعاصرة ستظل تفتقر الى المزيد من لون اخر غير هذه الكتب .. لون يحمل الى العقل القضايا والافكار ويمتع القلب ويغذي المشاعر ، ويضيء النفس ويترك فيها اثرا عميقا خصبا . وهذا اللون من التاليف لا يقدر عليه الا هؤلاء المفكرون الذين يملكون الى جوار علمهم – ذوقا مرهفا وقلبا خصبا وبيانا عذبا وايمانا عميقا بما يكتبون .. ولذلك سعدت كل السعادة وأنا اقرأ كتاب « في معركة المصير العربي » الذي صدر على ابواب هذا العام للصديق الفنان الاستاذ طاهر أبو فاشا ، فهو من هذا اللون الثاني ..

وطاهر ابو فاشا مرتبط في الاذهان بالعمل الاذاعي الكبير الذي يستمع اليه الناس منذ عشرين عاما او نحوها (الف ليلة) وقد لا يعرف الكثيرون أنه مؤلف لكثير من الكتب السياسية والاجتماعية والقومية وابرز مؤلفاته تلك التي تناولت في شمول واستيعاب ملامح نهضتنا المعاصرة بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ ، وهي حوليات صدرت منها حتى الان سبعة اجزاء بعنوان « الجمهورية العربية في عام » وعندي ان كل هذه الاشياء لا تمثل طاقة طاهر ابو فاشا الحقيقية ، لان طاقته تلك تبرز في الشعر وقد اصدر عدة دواوين شعرية في الثلاثينات من هذا القرن اذكر منها « القيثارة » و « الاشواك » الى جانب عديد من القصائد التي نشرها في الرسالة ولم تطبع اذكر كل هذا التاريخ الفني ليعرف القارىء ، لماذا كان الكتاب الذي نقدمه اليوم بكل هذه العذوبة والخصوبة ولا شك ان المؤلف يملك – الى جوار هذه الموهبة الفنية – طاقة كبيرة في البحث والاستيعاب ولهذا حمل كتابه قضايا الانسان ، منذ كان الى الان ...

والكتاب اشبه برحلة طويلة في التاريخ ساح فيها المؤلف سياحة طويلة عبر الازمان وشاهد هذه الاحداث وعاشها ونقلها الينا نابضة بالحرارة والحياة ولهذا نحس اننا لا نقرأ تاريخا وانما نعيش هذه الحياة ونعاني تلك التجارب . والمؤلف مؤمن ايمانا عميقا بالنضال العربي ، الى جوار ايمانه بطبيعة الخير في الانسان مهما كان . لذلك يبدأ رحلته التاريخية من الماضي ويتلبث عند الحاضر . ويتنبأ بالمستقبل ، فالماضي – كما يقول درس . والحاضر عمل . والمستقبل امل ..

ليس يكفي هذا الانطباع العام بل لا بد من تقويم دقيق واحصاء لما في الكتاب من قضايا وابواب .

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد عن تاريخ النضال العربية بصورة عامة ثم فصل هذا الحديث « في المعركة » وكشف عن استراتيجية الاستعمار التي لا تتغير بالنسبة للوطن العربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى اليوم واوضح دور مصر في النضال وكيف انها لم تتعزل عن الصف العربي ابدا لان تاريخ الوطن العربي كان تاريخا واحدا منذ كان ..

ثم تكلم بعد ذلك – في دقة واستقصاء – عن مفهوم القومية العربية بعد ان اوضح معنى القومية وتناول نشوء القوميات وتعرض بالدراسة والتحليل لكل النظريات التي سادت منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم عن نشوء القوميات .. وانتهى الى تأصيل عميق لقوميتنا العربيةواشتراكيتنا واكد انهما ينبعان من تيارين اثنين اولا : الواقع العربي الذي ينتظم وحدة التكوين النفسي والشعور المشترك بالالام والامال .. ثانيا – التراث المشترك الذي ينتظم وحدة اللسان والتاريخ.

وبعد ان افاض المؤلف في شرح مقومات القومية من وحدة الجنس والوحدة الجغرافية ووحدة التاريخ ووحدة اللغة ناقش اصحاب نظرية المشيئة والنظرية العضوية وفند اقوال هؤلاء المفكرين اكد ان اهم مقومات القومية العربية هما وحدة اللغة ووحدة التاريخ.. وقاده هذا الامر الى استقراء احداث التاريخ وعبر خلال مراحل ثلاث خاضتها القومية العربية المرحلة الاولى عهد الاستقلال القديم التي نشأت منذ فجر التاريخ وانتهت عام ٥٢٥ ق. م. عند الاحتلال الفارسي لبلادنا والمرحلة الثانية مرحلة الاحتلال الطويل التي استمرت نحو ١١٥٠ عاما ، والمرحلة الثالثة مرحلة النضج القومي التي استكملت فيها امتنا العربية مقوماتها تامة واحدة وقد بدأت هذه المرحلة عند المؤلف في القرن السابع الميلادي عند ظهور الاسلام وظلت حتى اليوم .. وهذه رحلة مضنية حدثنا فيها المؤلف عن احداث الامة العربية منذ هذا التاريخ الى اليوم وموقفنا من العالم والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي جعلت الوطن العربي في قلب الاحداث،تناول المؤلف كل هذه الاحداث في صفحات كثيرة تشع بالبساطة وتضيء بالعذوبة .. ولم ينس ان يحدد في وضوح وجلاء اوجه التشابه بين كل جزء من اجزاء الوطن العربي ويحدد معالم النضال المشترك الذي ظل مشتعلا عبر الاجيال ، وكيف تمكن كل جزء من اجزاء الوطن العربي واقامة الفواصل المصطنعة بين اجزائه وهنا ينتقل المؤلف الى نضال العرب الحديث في سبيل الوحدة العربية كهدف قومي ، والعدل الاجتماعي كطريق لاسعاد الانسان العربي على ارضه وذكر الصراع الذي دار بين العرب والاستعمار ثم تلبث قليلا عند تجربة الوحدة سنة ٩٥٨ بين مصر وسوريا وكأمل في امكان الوحدة ..

والكتاب بهذا الشمول والخصوبة مرجع هام من مراجع النضال العربي يثري وجدان الشباب العربي ويدفعهم الى العمل .

غير أنني في النهاية لا بد ان اشير الى بعض المواطن التي اختلف فيها مع المؤلف

اولا : المؤلف يعقد الوحدة الجغرافية مقوما للوحدة العربية ، وانا لا ارى ذلك فالوطن العربي متعدد الوحدات الجغرافية ، فيه السهول والوديان والجبال فيه المواطن الجافة والصحاري وفيه الاماكن المطرة والقيعان ومع ذلك فهو امة واحدة على رغم تعدد وحداته الجغرافية .

ثانيا : المؤلف يرى ان وحدة الارض تستلزم وحدة البيئة ، وانا اعتقد ان الارض الواحدة تضم مجموعة من البيئات

ثالثا : المؤلف يظلم « ارنست رينان » عندما يقول انه في نظريته لا يتكلم في القوميات وانما في التكوينات السياسية وارى ان (رينان) كان يتكلم في معاني القومية ويحاول التأصيل لها في محاضراته بالسوربون

رابعا : المؤلف يعتقد ان الدولة تقوم بدون اقليم معين ، بينما يرى كل رجال القانون وعلماء الاجتماع : انه لا بد لقيام الدولة من اقليم معين .. كما احب ان اشير الى ان الرقم الذي ذكره المؤلف للجيش الذي فتح مصر (٤٠٠٠) لا يتفق مع اجماع علماء التاريخ فهم يرونه نحو خمسة عشر الفا من الرجال ونصف الالف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن هذه الملاحظات التي اخذها على الكتاب لم تقلل ابدا من استمتاعي به وتأثري ، ولهذا فانني ارجو ان تتاح قراءته لاكبر عدد من الشباب والشيوخ .

القاهرة — عبد العزيز الدسوقي

•

رياح الشاطىء الآخر

مجموعة قصصية ـ تأليف السيدة نورا نويهض حلواني ـ ١٤٩ صفحة ـ منشورات مجلة دنيا المرأة في بيروت ـ ؟ المطبعة

نما ادب القصة العربية الحديثة في السنوات الاخيرة نموا ملحوظا ، حتى غدا أخصب فنون الادب وأكثرها رواجا ، وهذه ظاهرة ينبغي تأويلها من الناحية النفسية والاجتماعية ، ولا انكر ان في ميل الانسان للقصة حافزا تركيبيا في مزاجه منذ الصغر ، لكني التمس وجهة ثانية في قبول الاشياء التي من هذا القبيل حين اجد تجاريب المبتدئين خافقة في عالم القصة دون غيره ، ولم تكن بواكيرهم في المقالة والدراسة الادبية الا قليلا ، ولعل امر الفن القصصي هان على المستعجلين فعدوه سهل المراس قريب التناول ولم يحسبوا حسابا لما يتطلب من ثقافة الفكر والحياة ومعرفة التعبير .

ولما قرأت هذه المجموعة القصصية « رياح الشاطىء الآخر » وقارنتها بغيرها وجدت صاحبتها متمرسة بفنها وتجاربها ، وقد حملت القلم في الصحافة والادب سنين طوالا ، وأوتيت الموهبة عن اصالة في الاداء وان سمت مجموعتها محاولة في اضافة لبنة جديدة في بناء الادب الحديث الذي يتكامل بنتاج الجنسين .

والقصة في حياة الاديبة نورا نويهض حتى انبثق من اعماقها وسرى في دمها وعروقها ، فأكبت على صنعها واعدادها بطريقتها التي اختارتها وغذتها بذوقها وخصائص تفكيرها وتعبيرها ، وقد سمت السيدة نورا على عادة اكثر القصصيين مجموعتها الاولى « رياح الشاطىء الآخر » باسم القصة الاخيرة فيها ، وهذه الرياح كانت تهب على الشطوط اللاتينية من الديار الامريكية حيث يتكلم السكان اللغة الاسبانية التي اجادتها الكاتبة القصصية اذ اتفق لها ان تكون مع زوجها من المغتربين في هاتيك الربوع .

على اني لا ادري لماذا اصرت السيدة نورا نويهض على ان تسمي نتاجها هذا أدبا سنويا وهي التي جعلت هدفها فيه الوجود الانساني لا الطابع القومي أو الاقليمي ، فان تفاوت النظرة عند الرجل والمرأة نحو طبيعة الحياة والاشياء لا يدعو الى التفريق بين نتاج كل منهما ، فالادب واحد يتناول قضاياه كل منهما بحسب ثقافته وموهبته ولا يطبعه بطابع الانوثة أو الرجولة .

وهذه المجموعة يمكن ان تكون امثالها من صنع قصصيين فيما تناولت من شؤون الدنيا والمجتمع وبعض المشكلات التي تعاني منها النساء . وقد قالت السيدة نورا في مقدمة كتابها : المرأة القاصة كالرجل القاص « لا فرق بين قمة انتاج كل منهما الا من حيث الاختلاف الفريزي بينهما ، ومما لهذا الحس الفريزي عند الانثى من اندفاع أقوى ، لان تتحسس منابع الخير والشر في الانسان ولا تتلمس بكيانها حنايا هذا المخلوق العجيب » غير ان المجال في هذا المقال الوجيز لا يتسع لمناقشة هذا الرأي ، فلنمض في الحديث عن هذه المجموعة التي تتميز حوادثها وصورها بالوضوح ، والوضوح احيانا مرآة الفكر والشعور عند الكاتب ، فمن ابتلى قراءه ، باللبس او اللف والدوران ، فانما يدل على نفسه ، واذا تعمد الامر ولم يكتب على سجيته فانما هو متكلف ، ولم يكن التعبير القصصي للسيدة نورا غامضا ولا نابيا ، لكنه تجافى عن التعمق في التحليل ، وكان سبيله الى القصة اما بجمل مباغتة تجيء بها القصصية حوارا مختصرا او تصويرية باداء الغائب أو المتكلم ، فاختلف النسيج باختلاف الاشكال والالوان وتأبّت بعض الاقاصيص على المعالجة الفنية ، فكانت صورا انسانية مواجة بشتى المعاني والظلال .

وبعد فاننا اذا تتبعنا حركة النقد الاخيرة التي رافقت النتاج الحديث وجدناها جانحة الى التعريف بذويه اكثر من النقد والتحليل للنتاج نفسه ، وهذه الحركة اذا ما دامت أساءت الى النقد المرجو الذي يرتقبه المؤلف والقارىء معا ، حتى بات المؤلف لا يدري كيف يسدد خطاه ، ويتلمس الاجادة والاتقان .

فاذا جاملت الاديبة السيدة نورا نويهض في مجموعتها القصصية وزعمت بانها حققت الوسيلة والغاية في فنها واتجاهها أسأت اليها ، وهي التي تهدف بطموحها الى الحقيقة والخير ، للادب والانسانية ، وبطاقتها الاجادة والتكامل في نتاجها الجديد اذا أحست صدق النقد والاخلاص فيه ، وفي هذه المحاولة كما سمتها اجد القدرة على الخطوة التالية بل الخطى المتتالية .

دمشق — وداد سكاكيني

•

ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر

تأليف الدكتور عبد العزيز الاهواني ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ٢٢٢ صفحة ـ ؟ المطبعة

ظهر هذا الكتاب في الافق الادبي قبل سنة او تزيد .. وعجبت ايما اعجاب لعدم احتفال النقاد به وتقييمه ، اذ لم يتصد لنقده ـ على مبلغ علمي ـ الا واحد من كبار علماء العربية هو الاستاذ الجليل عبدالله كنون علامة المغرب ، وقد نشر هذا النقد في مجلة (المجلة) القاهرية .. ومن آسف اننا نجد النقاد يحومون حول الكتب الهزيلة البائخة ، ناقدين محللين ، وربما تائهين في بحار الدعاية والمحاباة والعصبية ، ولا يكلفون انفسهم مشقة التنقيب عن الكتب الفنيّة بموادها الادبية والعلمية ، لتبصير القارىء بمضامينها النافعة والاخذ من معينها العذب الرطيب .. ومع ذلك فمؤلف الكتاب ليس بحاجة الى التنبيه والاطراء ، فالدكتور الاهواني استاذ جامعي متخصص في الادب الاندلسي ، وله علم واسع في الزجل ، وبحوثه النقدية ودراساته الاندلسية في غنى عن التنويه باصالتها ودقتها ، وكتابه « ابن سناء الملك » يشكل حلقة في سلسلة بحوثه الادبية التي ما زال يخرج بها على الناس ـ على قلتها ـ فالعبرة ليست بهذه الكثرة الكاثرة من الكتب التي لا تغني عن شيء ، وانما العبرة كل العبرة ، بالجودة والاصالة وروعة الاكتشاف ..

ومن المعروف ان ابن سناء الملك ، قد نسج موشحاته على نحو ما فعل الاندلسيون ، وكتابه « دار الطراز » حجة في هذا الباب ، ولكن المؤلف اختار لبحثه القيم هذا سبيلا اعم واوسع من مسألة الموشحات ، وانصبت دراسته على مشكلة معقدة لا زالت تتردد اصداؤها بين جنبات النقد ، تلك هي مشكلة العقم والابتكار في الشعر ، فالبحث عن مصادر العقم في الشعر العربي تستدعي عملية استقرائية تتحرى بواعث الانحراف واسباب الخطأ التي وقع فيها الشعراء ، واختار المؤلف في بحثه عن القيم الشعرية عصرا من أزهى عصور السيادة العربية الاسلامية ، عصر الايوبيين في القرن السادس الهجري ..

ولم يكن ابن سناء الملك هو المقصود بالدراسة فحسب ولكن اختياره كنموذج للاسفاف والعقم ينسحب على سائر الشعراء الذين عاشوا في تلك الفترة امثال القاضي الفاضل وابن مطروح والبهاء زهير وغيرهم..

فهؤلاء جميعا قد شغلوا بالزخرف اللفظي والتوليد العقلي العقيم وان الصلة كادت تنقطع ما بينهم وبين حياة الجماهير والمجتمع الكبير. فاذا عاينا هذا الضعف كما يقول المؤلف فلا نستطيع ان نفسره بانهم عاشوا في عصر عقيم خامل فاصابهم ما اصاب اهل عصرهم جميعا وانما ينبغي ان نلتمس لضعفهم سببا او اسبابا اخرى ، ولكي تستوي الدراسة بين يدي الناقد ، فقد اختار منهجا احسبه جديدا في النظر والتحليل، هذا المنهج يبتعد تماما عن رؤية الفنان من خلال انعكاسات العصر والبيئة . ولقد تعودنا في دراساتنا الادبية ان ندرس الادباء واعمالهم الادبية بموازين نقدية ، تعتمد الاسرة والبيئة والعصر اساسا للدراسة ووضع الاحكام ، ولكن المؤلف كما يقول في تقديم الكتاب ، ان هذا المنهج سليم اذا استقام الفرض الذي بني عليه وهو لا يستقيم الا في حالات نادرة وعند شعراء قلائل في تاريخ الادب العربي ، اما شعراء القرن السادس الهجري واما شاعر كابن سناء الملك بالذات فلن تكون للدراسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل ولن تكون دراسة اسرته او دراسة حياته الشخصية ذات اثر كبير في فهم شعره ..ذلك لان هؤلاء الشعراء كانوا يتصلون بين شعرهم وحياتهم العامة والخاصة، لانهم عاشوا في دواوين السفر العربي القديم اكثر مما عاشوا في بيئاتهم المعاصرة ..

وفي ظني ان نهج المؤلف سليم ولا يعيبه الا هذا التشدد والتعسف احيانا في تطبيق عملية العزل بين الشاعر والبيئة عزلا يحيل ابن سناء شاعرا لا ينطق عن مشاعر صادقة ولا يهزه احساس عاطفي ولا يرتبط باية وشيجة وان كانت واهية باحوال عصره ونوازع نفسه .. لذلك لا نعجب اذا رأينا المؤلف لا يتحسس شيئا من عاطفة لابن سناء ، ولا يستحسن الا قصيدة واحدة وابيات معدودة هنا وهناك فاض بها وعاد الشاعر العاطفي وذهبت بددا دون رؤية ناضجة واحساس متوهج..

غير ان المنهج يبلغ الغاية كل الغاية حين يتصدى للمشكلات البلاغية واللغوية فينتهي الى حكم نافذ لقضايا الازدواج اللغوي والركاكةوتطور مفهوم الشعر بين الامس واليوم ، متحريا المصادر التي جعلت من الشعر العربي في تلك الاونة عقيما وحصيلة عقلية جامدة ، ذلك « ان قراءة ديوان ابن سناء الملك تثبت بما لا محل فيه لشك ان جهد الشاعر كان منصرفا الى هذا التفنين العقلي حتى في امس الموضوعات بالانفعال العاطفي » ، فالشاعر لا ينسى انه ينتمي الى ما تسميهم طبقة (الفهماء) ولكي يرضي اذواق النحاة واهل البلاغة والفقه اضطره الامر الى اقحام مسائل النحو واصطلاحات العلوم الفقهية في شعره .

ويتطرق المؤلف في الفصل الثاني الى ذكر التجديد والابتكار حسب مفهوم ابن سناء ويتناول قضايا اخرى كالتعليل البلاغي والمعنى الجديد والمفارقات والمقابلات العقلية ونحوها مستعينا بذلك ـ وفق الخطة التي انتهجها ـ بالشواهد والجزئيات للتدليل على نوع الابتكارات والمعاني التي اضافها ابن سناء ، فاذا هذه المعاني لا تعدو ان تكون سطوا وغلوا وتيبسا في القصيد وحسبنا ان نشير الى قول استاذه القاضي الفاضل عن سبب انصراف معاصريه عنشعر ابن سناء هو « تصور الافهام وتقصير الانام » وكان الحق ان يقول ان تصور هؤلاء وتقصيرهم نتيجة لافراط هذا وغلوه كما ذهب المؤلف ..

ويبقى ان نذكر الفصل الثالث والاخير من الكتاب الذي يتناول فيه المؤلف دراسة الموشحات عند ابن سناء ، وفي هذا يضيف الكاتبقضية اخرى تتصل بمشكلة الابتكار التي درسها في قصائده التقليدية .. فهنا نجد الشاعر قد اولع بالابتكار لانه رأى في الموشحات لونا منالوان التجديد ونزعة من نزعات الابتكار ولكن الاصول الفنية والمعنوية التي رجع اليها الشاعر حين كان ينظم قصائده هي التي رجع اليها فينظم موشحاته وبذلك كانت ابتكاراته في الشعر مرتبطة بالمعنى وفي الموشح بالشكل ..

لقد كان بودي ان استطرد في ذكر الامثلة والنماذج التي ساقها المؤلف معززا بها نهجه النقدي الذكي لولا ان صفحات النقد والتعريف لا تحتمل التوسع والاستطراد ، وحسبي انني اعطيت صورة اقرب للوضوح وادل على قيمة الكتاب ونفاسته ، لانه يمس قضية ادبية ما زالت تزداد عمقا واتساعا ، كما يتضمن دعوة ملحة لتاصيل الاصول وتعقيد القواعد النقدية السليمة التي نفتقر اليها .

البصرة — عبد الرحمن علي

•

لمن تقرع الاجراس

تاليف ارنست همنجواي ـ ترجمة خيري حماد ـ ؟ صفحة ؟ المطبعة

هذه النهضة التي يعيشها العالم العربي اليوم لا تكتفي بان تجددفكرها بالكتابة والتاليف ، ولا تقف عند حد بعث واحياء الفكر العربي في امهات كتبه وذخائره ، ولكنها تاخذ خطا واضحا في مجال الترجمة ، هذا الخط الواضح في حاجة الى مفاهيم وقيم يحملها المترجمون اولا، والا فان ازمة الترجمة منذ الثلاثينات ستظل مستمرة تعمل عملها ، وتفعل فعلها في تحويل شخصيتنا العربية، او تمييعها او تدمير مقوماتها ذلك اننا في حاجة كبرى الى الترجمة ، فنحن نؤمن بالنهضة القائمة على فتح النوافذ ونقل الثقافات المختلفة ، والفنون الفكرية المتجددة ، ونحن حين نؤمن بشخصيتنا العربية القائمة على اساس من مقوماتنا وقيمنا وتراثنا وفكرنا ذي الطابع الواضح ، لا نحب ان نجمد ، ولا ان نقف ، وانما نؤمن بالتطور ، والمتابعة للفكر الانساني مشاركين فيه ، متفاعلين معه ، ومن هنا كانت اهمية الترجمة في هذه المرحلة منحياتنا الفكرية الجديدة ، ومن هنا كان هذا التطلع الى المترجمين المؤمنين بامتهم وقيمها اولا ، ثم المؤمنين بامانة الترجمة ومقومات الفن نفسه ، ومدى القدرة على الفهم والتعمق والتجارب مع الكاتب المترجم لهوالللغة نفسها ، ومضمون البحث موضع الترجمة .

لذلك كان لا بد ان نلتفت بشدة الى مترجم جديد نزل ميدان الترجمة منذ خمسة اعوام فقط ، ولكنه برز فيه على نحو مذهل ، اثار حوله الشائعات والتهم ـ لكثرة انتاجه ـ بانه يرأس لجنة من المترجمين يقدمون له الجذاذات والسلخ ، ثم يضع عليها اسمه ، وقد كذبت هذا القول « التجربة » حيث نقرأ له اي عمل من اعماله فنجد اسلوبه يسود الكتاب كله ، وروحه واضحة في كل سطر ، وربما جاء هذا الاتهام نتيجة لكثرة الانتاج ، فقد استطاع « خيري حماد » ان يصدر سبعين كتابا حتى نهاية عام ١٩٦٣ وهو عمل كبير يربو علىاكثر من ٣٠ الف صفحة ، غير ان من يقابل خيري حماد ويرى متانةبنيانه الجسدي وشبابه وعزيمته الواضحة في ملامحه ، وايمانه بالامة العربية وقيمها ، لا يدهش .. فهو الرجل المفطوم عن الشهوات الذي يعيش ايامه ولياليه لفنه الذي احبه ، والذي يحيل ساعات ليله سهرا متصلا في العمل بين قهوته وسيجارته ومدفئته ..

ولقد جاء « خيري حماد » ليحتل مكانا كان شاغرا حقا بعد وفاة مترجمين من ابرز اعلام الترجمة عندنا وهما : « محمد بدران وعادل زعيتر » ، وقد تركا في ميدان الترجمة من الانجليزية والفرنسية آثارا ضخمة ، ومن قبل سبقهما « المازني » وكان مجاله في ترجمة القصة والبرقيات السياسية ، ومن قبله محمد السباعي ومحمد مسعودوحافظ عوض وفتحي زغلول وهؤلاء جميعا من اعلام الترجمة في الادب العربي المعاصر ، غير ان مترجمنا « خيري حماد » ربما اختلف عن هؤلاء ولعل سر نضوجه وحيويته وقدرته البارعة في الاداء والفهم وامتصاص روح المترجم له ، انما يرجع في الحق الى ذخيرة ضخمة من التجربةوحصيلة كبيرة من القوة العملية ، فهو رجل امضى اكثر من ربع قرن في مجال الصحافة ، قطع فيها مراحل ضخمة من القراءة والاستيعاب والترجمة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكتابة فمرن ذهنه ومرن اسلوبه واستطاع ان يضع النصوص الاجنبية في القوالب العربية المناسبة بما يحقق الاحتفاظ بروح المؤلف وايصال المعنى في بساطة ويسر الى القارىء كما اعطته الصحافة تلك القدرة المتصلة ، واليقظة الدائمة ..

وكان خيري حماد قد استهل حياته الفكرية بالعمل الصحفي في جريدة « الاستقلال » في بغداد عام ١٩٣٩ ، وهي صحيفة الوطنية الصادقة فعاش لها على طريقته مؤمنا صادق الايمان ، متحمسا ، مندفعا، يكتب مقالا فيسقط وزارة ، ويتحدى الظروف فيكتب الجريدة كلها ، بعد ان تخلى عنه زملاؤه فيها ، ثم يلهب حماس الجماهير حتى يرتفع البيع من ٦٠٠ نسخة الى ثلاثة عشر الفا .. وعاش خيري ثورة العراق سنة ١٩٤١ وشارك فيها بقلمه ، وسجن خيري حماد من اجل حرية رأيه مرة ومرة ، وعاد الى بلده فلسطين ، ليحرر جريدة « الدفاع » ويصدر جريدتيه « المستقبل » ثم « الوحدة » وتمضي الايام ، وهو يقرأ ويتابع ويعيش الاحداث السياسية للوطن العربي ، ويتحول خيري حماد من فلسطين الى دمشق ، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته الفكرية: هي « مرحلة الترجمة » التي بدأها في حذر وقلق وتطلع ، ووجد متاعب المقتحم لميدان جديد ، وكرس جهده للعمل الذي اوغل فيه وصبر .. وظفر ، فقد كان ايمانه بنفسه وعمله ، يدفعه الى ان يقدم شيئا ضخما ، وجاءت الفرصة تلو الفرصة ، متتابعة ليبرز ويحقق ذاته، وكانت مطالع شهرته في ترجمة « مذكرات ايدن » التي رفض الناشر ان يضع اسمه على غلافها ، ثم « مذكرات تشرشل » ثم كان كتابه الذي طبع عشرات المرات « الطريق الى السويس » وتوالت مترجماته في ثلاثة ميادين : قضايا الوطن العربي وكتب السياسة العامة ، ومترجمات الادب ، وفي مقدمتها قصة همنجواي الخالدة التي احرز بها جائزة نوبل « لمن تقرع الاجراس » وهي التي بين ايدينا اليوم .

ولقد اقدم خيري حماد على ترجمة هذه القصة هيوبا مترددا ، فقد كانت تجربة جديدة له ، لما فيها من الاقدام على « تعريب » وهو يفضل هذه العبارة عن عبارة « ترجمة » ، وهمنجواي شيخ كتاب القصة في العصر الحديث ، وقصته حازت الجائزة .

ومع ذلك فقد اقدم ونجح ، شانه دائما ، كان في تقديره دائما ان التعريب الصحيح يجب ان يضاهي القصة الاصلية ، في قوة اسلوبها، ومتانة تسلسل الحوادث فيها وروعة حوارها وجزالة لفظها وبداعة تصويرها ، ودقة الوصف الظاهر في كل اجزائها ، وفي هذا ما فيه من عبء ضخم ومهمة شاقة ، والا فقدت القصة المعربة ما في اصلها من ابداع حلق بها الى الاوج ، ومكن واضعها من الفوز بجائزة نوبل ..

يقول خيري حماد « وقبلت التحدي واقبلت على القصة الطويلة الرائعة انقلها الى العربية ، فاشعر عند نقلها بما يحس به كل من يقدم على عمل كبير من لذة ومتعة ، ورحت اغوص في هذا البحران الواسع من الفن القصصي الرائع اتوخى الدقة في التعبير عند نقله الى العربية واستهدف اعطاء الصورة الكاملة التي رسمها المؤلف الفنان بريشته الفذة .. »

وتصور قصة « لمن تدق الاجراس » الحرب الاهلية الاسبانية، وترسم خطوط النضال بين الفاشية والشيوعية وبين الدكتاتورية والجمهورية.

ولخيري حماد مذهب واضح في الترجمة فهو يؤمن « اننا في مرحلتنا الحاضرة في حاجة الى النقل ، لاننا نحاول ان نقطع في العام الواحد ما قطعه غيرنا في عشرات السنين ، وهذا لا يتوافر لنا الا اذا حشدنا كل النتاج الفكري عند الامم المتحفزة » وعنده اننا يجب ان ندرس ونترجم :

اولا : كل ما يتعلق بالوطن العربي ، ونعطي اهلنا صورة لما يقال عنا ، وما يفكر به الغرب في مشاكلنا ، احيانا هذا يحتاج الى الرد والتعليق لانه مهما بلغ الكاتب الغربي من الانصاف فانه يظل عاجزا عن فهم كثير من امورنا ، يضاف الى هذا انه لا يستطيع ان يتحرر كل التحرر من عواطفه الشخصية والقومية ، حتى ولو توخى الموضوعية .

ثانيا : الفكر السياسي العالمي ، ممثلا في امهات الكتب السياسية العالمية ففي هذه المرحلة الثورية نجدنا في اشد الحاجة الى الاهتمام بالنواحي الاقتصادية .

ويرى خيري حماد ان « الامانة » هي العنصر الاساسي في التعريب والترجمة وعلى المعرب ان يكون صادقا كل الصدق في نقل اراء المؤلفين الى اللغة التي يترجم اليها والا كان الانتاج الجديد مختلفا كل الاختلاف عن الانتاج الاصلي وغير محقق للغاية المرجوة .

وتتصل الامانة في النقل الى ناحية الكفاءة والقدرة على تفهم ما اراده المؤلف تماما في كتابه ، ولعل مسؤولية المترجم الاولى تكون في ان يحكم على نفسه في ضوء قدرته على تعريب الكتا باو الموضوع الذي اخذ على عاتقه القيام به ، فاذا ما تحقق من هذه القدرة توجب عليه آنذاك الامانة في النقل ليحقق الغاية الاساسية من ترجمته لذلك الكتاب .

وعنده ان حركة التعريب قد اسهمت اسهاما كبيرا في دفع عجلة الادب العربي الى الامام وتغذيته بمختلف الصور والمرئيات ، فاذا قدرنا ان بعض ادبائنا لا يلمون باكثر من انتاج لغتهم ، وان بعضهم لا يعرف اكثر من لغة واحدة ، اعترفنا بدون مكابرة بان مائدة الفكر لا تزال عندنا هزيلة وادركنا مدى حاجتنا الى الترجمة .

ويؤمن خيري حماد بان اللغة العربية لغة غنية جدا ، وان في الامكان العثور على مصطلحات عربية كثيرة تقابل المعنى في اللغة الاجنبية المترجم عنها ، وانه في الامكان عند عدم وجود معنى كامل لها ان يعرب نفس الاصطلاح ، ومع كثرة الاستعمال يصبح هذا اللفظ مستساغا ، مثلا كلمة « تكنولوجي » استخدم له كلمة (التقنية) وهي كلمة عربية او كلمة (ستراتيجي) يمكن استعمال كلمة (سوقية) مقابلها ويكرر حتى يستسيغها القارىء .

وحتى نستطيع ان نستكشف شخصية خيري حماد يجب علينا ان نعرف جوانبه الثلاثة : مترجما ومؤلفا ومعلقا ، وعلينا ان لا ننسى خيري حماد الاديب الى جانب خيري حماد المترجم والصحفي .. فهذه هي موهبته الاولى ، موهبة الادب ودراساته ، فقد استهل حياته الفكرية بدراسة عن شكسبير نشرتها مجلة الرسالة في اوج مجدها القديم عام ١٩٣٦ تحت عنوان « الكائنات الغيبية في شعر شكسبير » ثم كتب سلسلة اخرى عن توماس كارليل وفلسفته . وهذا سر نجاحه في ترجمة همنجواي . وله ترجمات ادبية اخرى عن اوسكار وايلد « امراة غير ذات قيمة » والبير كامي « المنفى والملكوت » وليناكوف « الانسان الضائع » وكولن ويلسون « عصر الهزيمة » وباسترناك « شجاعة العبقري » .

وفي مجال التاليف له سلسلته الضخمة التي اصدر منها مجلدين وهي « اعمدة الاستعمار البريطاني السبعة » تضم سبعة من اعلام الاستعمار هم : فيلبي ، لورنس ، برسي كوكس ، جرترود بل ، ورونالد ستورس وسبيريز وجلوب ..

ومن اماله ترجمة دائرة المعارف العالمية مع تعريبها لتلائم ثقافتنا . وله مؤلفه الضخم « قضايانا في الامم المتحدة » الذي يقع في ٦٠٠ صفحة عالج فيها القضايا العربية التي عرضت على الامم المتحدة بصفة عامة والقضايا الرئيسية الثلاث (دورة ١٩٦١) فلسطين والجزائر وعمان .

وهدفه في التاليف سياسي واضح يضع فيه خلاصة خبرته الصحفية والسياسية الطويلة ، فهو يعمد الى تصحيح ما يكتب في تاريخ العرب الحديث ، ويعتقد ان هذا التاريخ قد شوه لعدة اسباب من سيطرة بعض الاسر ذات النفوذ .

وهو لا يقف في الترجمة احيانا عند حد التعريب ، وانما يشرح في الهوامش ويصحح ويحقق وان كان لا يمنعه اختلافه مع المؤلف في الراي

ARCHIVE beta.Sakhrit.com



• النشاط التلقائي والتعليم الخلاق ـ تاليف هيلين فيشر دارو وفان الين ـ ترجمة الدكتور مصطفى فهمي والدكتور نجيب اسكندر ـ مراجعة الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ـ تقديم محمد السيد روحه ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

• دور الثقافة في أعداد المديرين ـ تحرير روبرت جولدوين وتفارلز نلسون ـ ترجمة ابراهيم علي البرلسي ـ مراجعة وتقديم الدكتور محمد توفيق رمزي ـ مصمم الغلاف السيد محمود اسماعيل ـ ٢٥٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• تنظيم الحلقات الدراسية والتدريبية ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة الدكتور رشدي فام منصور ـ مراجعة وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

• مواجهة الطفل للازمات ـ تاليف جورج مهر ـ ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات ـ اشراف وتقديم ومراجعة الدكتور عبد العزيز القوصي ١١٢ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

من ان ينقل فكرته بامانة وصدق .

وقد عني كثيرا بجوانب لم يطرقها المترجمون كثيرا ، عني بمكيافيلي وحياته ومطارحاته وترجم لبرتراند رسل واهتم اهتماما كبيرا بافريقيا وحوار مع نهرو ووجه همه الى الجزائر وصحرائها وترجم عن اليمن والعراق ، ومراكش ، والمانيا الهتلرية . ومن الكتب التي ترجمها وعلق عليها : الفتوحات الاسلامية لجلوب ، والجوانب القومية والوطنية ، واهتمامات المترجم بالوطن العربي ومعاركه مع الاستعمار واضح وضوحا كبيرا ، واعتقد انه يمثل الجزء الاكبر من انتاجه ، وذلك في حدود عقيدته وايمانه بمراة الترجمة لما يكتب عن الوطن العربي وهو بهذا الاتجاه يكمل رسالته الاولى ، رسالته الصحفية حين عمل في العراق وفي فلسطين ، وقاوم الاستعمار وسجن من اجل ايمانه وفكره، وكانت جريدة « الوحدة » لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين .

جريدته التي حررها « الاستقلال » جريدة الوطنية في العراق وكانت جريدة « الوحدة » لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين . وفيهما كتب الوف المقالات في اتجاه الحرية والوحدة وكانت قضية فلسطين في الاهمية الاولى .

ومما يسجل لخيري حماد انه لم يجمع بين الترجمة حين بداها منذ خمس سنوات وبين عمل آخر ، كما جمع المازني ومسعودوحافظ عوض، وان كانوا جميعا لم يبلغوا حظه من التقدير المادي ، وتلك ميزته انه يتفرغ لفنه تفرغا كاملا ، فلا يشغل نفسه بالعمل الصحفي ويجد من جناحه المطل على النيل مواجها الجزيرة والشمس والقلعة ، ما يمده بالقوة على العمل المتصل ويهيئه للانتاج الضخم .

القاهرة **انور الجندي**

• العلماء وادواتهم ـ تأليف برت موريس باركر ـ ترجمة الدكتور مصطفى بدران ـ ٣٦ صفحة ـ مصور ـ منشورات دار المعارف بالقاهرة ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة .

• حياة حسين حمود مسعود ، كندا ـ عني بجمعه وتاليفه محمد سعيد مسعود ـ عني بتنقيحه عبد الله بري ـ ١٧٥ صفحة باللغة العربية ـ و ٦٦ صفحة باللغة الانجليزية ـ صدر في كندا (لم يذكر اسم المطبعة) .

• المعارك الفاصلة في التاريخ : عرض للعبقريات العسكرية والخطط الحربية مدعم بالخرائط والرسوم ـ تاليف حنا خباز ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• الادارة العامة ، المبادىء والنظريات ـ تاليف الدكتور سيد محمود الهواري استاذ الادارة العامة بجامعة بيروت العربية ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• ابو الحسن الحصري القيرواني ـ تاليف محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ـ ٥٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة المنار بتونس ـ مطبعة المنار بتونس .

• ايليا ابو ماضي ، دراسة تحليلية ـ تاليف جعفر الطيار الكتاني استاذ مساعد بجامعة الرباط ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الرشاد بالدار البيضاء وفاس ـ مطبعة السنة المحمدية (؟)

• سوانح خمسين ـ تاليف فؤاد الخوري نقيب المحامين ووزير العدل سابقا في لبنان ـ تقديم فيليب تقلا ـ ٤٥٠ صفحة ـ حجم كبير صدر في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

• التربية الاجتماعية في المرحلة الابتدائية ـ المحاضرات التي القيت في المؤتمر التربوي الذي عقد برعاية وزارة التربية والتعليم الاردنية بالتعاون مع قسم التعليم في الوكالة الامريكية للتنمية الدولية في الاردن ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات مجلة « رسالة المعلم » في عمان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• دكتور سبول يتحدث الى الامهات ـ تاليف بنجامين سبول ـ ترجمة عايدة ابادير وسعد الجبلاوي ـ تقديم الدكتور مصطفى الديواني ـ مصمم الغلاف محمد اسماعيل صالح ـ ٤٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .

• تقويم النعمة ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات مجلة النعمة بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

• السائح والترجمان ـ مسرحية ـ تاليف توفيق يوسف عواد ـ الغلاف واللوحات بريشة رضوان الشهال ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المكشوف ببيروت ـ مطبعة الغريب ببيروت .

• العرب والعراق ـ تاليف علي الشرقي ـ ١٧٢ صفحة ـ مطابع شركة الطبع والنشر الاهلية ببغداد .

• كتاب المقالات والفرق ـ تصنيف سعد بن عبد الله ابي خلف الاشعري القمي ـ عن نسخة خطية وحيدة ـ صححه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد جواد مشكور الاستاذ في دار المعلمين العليا بطهران ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة مطبوعات عطائي بطهران ـ مطبعة حيدري بطهران .

• وفاء الزمان ـ رواية تمثيلية ـ تاليف امين الريحاني ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

• اللهب الكافر ـ شعر ـ محمود سليم الحوت ـ مصمم الغلاف سعد الجرجاوي ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الكتب (؟)

• تجربة الشيوعية في الصين ـ مشاعرة ودراسة ـ تاليف محمود الدرة ـ ٤٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي بيروت ودار الكفاح ببيروت .

ARCHIVE
archivebeta.Sakhrit.com